السبت 29 أيار 2021
العدد 4351 السنة الخامسة عشرة
Samedi 29 Mai 2021 nº 4351 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

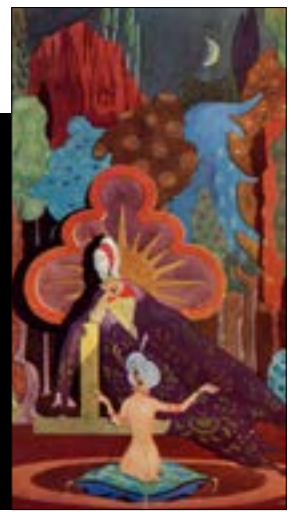

«ألف ليلة وليلة»
حرّة وكاملة... مفتوحة على الجسد

أكثر من 8 مليارات دولار في 27 شهراً

مصارف لبنان: خسائر تطيح الرساميل وزيادة الـ20 بالمئة [2]

مسعى فرنسيّ لرفع العقوبات عن باسيل [5]

(أ ف ب)

في الواجهة

رئيس المجلس ينتظر مَن ليس يُنتَظر

4

تقرير

قانون الانتخاب على المحكّ:
مقاعد غير المقيمين والبطاقة الممغنطة

5

عمان

أوّل موجة مطلبية منذ 2011
هيثم بن طارق يعتصم بـ«الاحتواء»

13

قضية اليوم

أكثر من 8 مليارات دولار في 27 شهراً
مصارف لبنان: خسائر تطيح الرساميل وزيادة الـ20 بالمئة

سجّلت المصارف التجارية في 3 أشهر من عام 2021 خسائر تفوق ما سجّلته مُجتمعةً عام 2020، حتى وصلت الأزمة لدى بعضها إلى تآكل أموالها الخاصة، التي عادة ما يُعوَّل عليها لترميم الخسائر. النسبة الكبيرة للخسائر تضع ملاءة المصارف وسيولتها في دائرة الخطر، ما يفترض إعادة تكوينها من جديد، قبل البحث في زيادة رأس مالها ودورها في تنمية الاقتصاد!

ليا القزي

8 مليارات و719 مليون دولار هي صافي خسائر القطاع المصرفي في لبنان لعامَي 2019 و2020 والأشهر الثلاثة الأولى من عام 2021. الأرقام ضخمة، أهميتها أنّها تُثبّت الواقع المرير الذي أوصلت المصارف نفسها إليه، وبأنّ الـ20% زيادة على رأسمالها التي فرضها البنك المركزي لن تكون كافية لتغطية الخسائر، هذا قبل التفكير في وضع خطط نهوض

7 من أصل 35 مصرفاً، سجّلت خسائر تخطّت أموالها الخاصة

وتفعيل العمل المصرفي. حجم الخسائر ليس نهائياً، والتقديرات تُشير إلى أنّه يتخطّى الـ8 مليارات دولار، فأرقام الفصل الأول من عام 2021 (3,4 مليارات دولار) تُعدّ مؤشّراً على النسب التي ستُسجّلها الفصول اللاحقة. إضافةً إلى أنّ المصارف قد لا تكون صرّحت عن كامل الخسائر التي تعرّضت لها، مُختارةً تقسيطها على سنوات عدّة، وعدم احتسابها دُفعةً واحدة. في كلّ الأحوال، تتقاطع أرقام الخسائر مع الورقة التي نشرتها قبل أيام وكالة «ستاندرد آند بورز» الائتمانية بأنه حتى ولو أمّنت المصارف زيادة الـ20% والـ3% رساميل بعض المصارف من الفئة الأولى. فوفق أرقام مصرف لبنان غير الرسمية، والتي حصلت «الأخبار» على نسخةٍ منها، بلغت خسائر القطاع المصرفي لسنة 2020 نحو 5,03 تريليون ليرة، أو 3,3 مليارات دولار. وهو تقريباً الرقم نفسه المطلوب أن تأتي به المصارف لزيادة 20% على رأسمال. إلا أنّ الـ3,3 مليارات دولار لا تعكس الخسائر الفعلية، لأنّ أكثرية المصارف أجّلت احتساب المؤونات على شهادات الإيداع لدى «المركزي» (حدّ أدنى 1,89%) وسندات الدين بالعملات الأجنبية (حدّ أدنى 45%)، مُستفيدة من السماح لها بتقسيطها على 5 سنوات. أخذت التطورات منحى أكثر سوداوية لدى المصارف هذه السنة، مع بدء تكوين المؤونات، فبلغت الخسائر لغاية 31 آذار 2021 عتبة الـ5,2 تريليون ليرة، أي 3,4 مليارات دولار. ثمّة مصارف كوّنت مؤونات على سندات الدين بالعملات الأجنبية، («يوروبوندز»)، وصلت إلى 70%، و12% على شهادات الإيداع لدى مصرف لبنان، ما يُعدّ أول اعتراف واضح بعمق الأزمة.

خسائر البنوك لن تظهر فعلياً إلا بعد إعادة هيكلة الدين العام (أرشيف)

يندر أن «ينجو» مصرف من هذا المصير المحتوم، ولكن 7 من أصل 35 مصرفاً تجارياً، سجّلت خسائر في عام 2020 وبداية عام 2021 تخطّت أموالها الخاصة - المُفترض أن تُستخدم في الحالات الطبيعية لتعويض النقص - وهي: فيدرل، مصر ولبنان، سرادار، الموارد، سيدروس، سوسيتيه جنرال، والبحر المتوسط. الأسماء المذكورة ليست «أيّاً كان» في القطاع، بل مصارف من الفئة الأولى تحتل مساحة واسعة من السوق، و«مُدلّلة» لدى حاكم مصرف لبنان، رياض سلامة. لأجل مصرف البحر المتوسط - المملوك من رئيس الحكومة المُكلّف سعد الحريري، افتتح سلامة سنة 2014 عمليات نقل الثروة من المال العام إلى جيبة حُفنةٍ من المساهمين المُفلسين، عبر منحهم أموالاً عامة مجاناً. أُطلق على العملية اسم «هندسة مالية» لإضفاء طابع «علمي» عليها وإخفاء أنّها عملية نقل المال العام إلى حسابات أفراد محددين، استفادت منها غالبية المصارف الكبرى، ولا سيّما مصرف الحريري و«سوسيتيه» و«سيدروس» و«الموارد». كلّ محاولات انتشال المصارف من إفلاسها لم تمنع تبديدها أموال المودعين، وتسجيلها خسائر حوّلت أموالها الخاصة إلى «السلبي». ويُعدّ الـ«سوسيتيه جنرال» والبحر المتوسط، أكثر مصرفين مُتضررين مالياً. فالأول سجّل سنة 2020 خسائر بـ862 مليون دولار فيما أمواله الخاصة هي 827 مليون دولار. ليس الوضع أفضل في بداية 2021، مع بلوغ خسائر الـ«سوسيتيه» 847 مليون دولار، وتراجع أمواله الخاصة إلى 815 مليون دولار. أما بالنسبة إلى بنك البحر المتوسط، فسجّل حساب الأموال الخاصة لديه سنة 2020 نقصاً بـ79 مليون دولار أميركي، مقابل خسائر بـ925 مليون دولار. الخسائر ارتفعت إلى 964 مليون دولار حتّى 31 آذار 2021، مع بلوغ العجز في الأموال الخاصة قرابة الـ118 مليون دولار! ويُنقل عن مسؤولين في هيئة رقابية أنّ المساهمين في «البحر المتوسط» لا يملكون «دولاراً واحداً لضخّه في رأس المال وتعويض العجز». هذا المصرف المُنهار يملكه سعد الحريري، الذي يُنتظر منه تشكيل حكومة إنقاذ البلد من الانهيار!

تراكم الخسائر إلى هذا الحدّ، قد يؤدّي إلى ضرب نسبة الملاءة (ما يضمن قدرة أيّ مؤسسة على الإيفاء بالتزاماتها) ويوجب إعادة تكوينها. فإذا كانت الأموال الخاصة سلبية، وزيادة 20% على الرأسمال غير كافية، والخسائر تتعاظم، هل بوجود هكذا قطاع سينمو اقتصاد؟ ثمة احتمال أن يكون لدى المصارف «مصلحة» في تسجيل الخسائر وتظهير أنّها فقدت رساميلها، حتى لا تدفع المزيد من «الإتعاب». فالمعركة المقبلة، هي معركة من يُريد تحمّل كلفة إعادة هيكلة الدين العام وتخفيضه إلى ما دون الناتج المحلي حتّى يقبل صندوق النقد توقيع اتفاق مع لبنان. هذه المرّة أبيض، تُريد المصارف - بغطاء سياسي ومن مصرف لبنان - تدفيع الناس.

اعتُمدت لم تكن ستوصل إلّا إلى هذه النهاية، وكانت مسألة وقت فقط قبل انفجار الأزمة.

أتت موازنات المصارف التجارية لـ«تُصوّب» النقاش، وتحسم بأنّ «سنة 2019 كانت سنة الانهيار النقدي بعد 22 عاماً من استقرار العملة. هي نقطة تحوّل جوهرية»، وفق التقرير المالي الصادر عن «بنك داتا». وقد تبيّن أنّ المصارف تكبّدت ملياراً و891 مليون دولار خسائر عام 2019، مقارنةً مع أرباح بلغت 2 مليار و456 مليون دولار سنة 2018. أما حقوق المساهمين فقد تراجعت من 24,752 مليار دولار سنة 2018 إلى 20,829 مليار دولار في العام التالي. «من يُخفِ علّته تقتلْه»... وهذا ما حلّ بالقطاع المصرفي. عدم اتخاذ مصرف لبنان إجراءات حاسمة وجدّية لمعالجة الخسائر، لا بل العمل على دسّها تحت السجادة تارةً عبر ما يُسمى «هندسات مالية» وطوراً عبر تعاميم إنقاذية، أدّى إلى تضخّمها بشكلٍ مسح سيولة في حساباتها لدى المصارف المراسلة في الخارج، «من غير المرجّح أن يؤدّي ذلك إلى استقرار القطاع المصرفي»، فالحجم الحقيقي لخسائر البنوك لن يظهر فعلياً «إلّا بعد إعادة هيكلة الدين العام»... وقد بدأ رأس جبل الجليد بالظهور في صيف عام 2019، أي قبل أشهر من انطلاق انتفاضة «17 تشرين»، ما ينفي مزاعم حزب المصرف في الربط بينها وبين الانهيار المالي والنقدي. السياسات الاقتصادية والمالية التي

أموال خاصّة سلبية

أربعة مصارف من أصل 35 مصرفاً تجارياً لم تتكبّد فقط خسائر كبيرة، بل سجّل حساب الأموال الخاصة لديها عجزاً. فحتى 31 آذار 2021، كانت الأموال الخاصة لدى فيدرل بنك سلبية بمليار و200 مليون ليرة، و - 177 ملياراً و670 مليون ليرة لدى بنك البحر المتوسط، و - 22 ملياراً و97 مليون ليرة لدى بنك الموارد، و - 26 ملياراً و974 مليون ليرة لدى سيدروس. أما السنة الماضية، فكانت نسبة العجز في أموال بنك البحر المتوسط الخاصة 119 ملياراً و812 مليون ليرة، و - 22 ملياراً و828 مليون ليرة لدى بنك الموارد، و- 27 ملياراً و253 مليون ليرة لدى سيدروس.

المصارف التجارية اللبنانية

	2021 (حتّى 31 آذار)			2020		
المصرف	حساب الأعباء والإيرادات	نتيجة الدورة المالية	صافي الأرباح / الخسائر	حساب الأعباء والإيرادات	نتيجة الدورة المالية	صافي الأرباح / الخسائر
فرنسبنك	58 مليار و670 مليون ليرة	- 65 مليار و552 مليون ليرة	- 6 مليار و882 مليون ليرة	- 12 مليار و248 مليون ليرة	صفر	- 12 مليار و248 مليون ليرة
البنك اللبناني - الفرنسي	4 مليار و149 مليون ليرة	- 285 مليار و125 مليون ليرة	- 280 مليار و977 مليون ليرة	100 مليار و840 مليون ليرة	- 98 مليار و469 مليون ليرة	2 مليار و371 مليون ليرة
البنك اللبناني للتجارة	4 مليار و16 مليون ليرة	- 27 مليار و975 مليون ليرة	- 23 مليار و959 مليون ليرة	- 22 مليار و701 مليون ليرة	- 43 مليار و921 مليون ليرة	- 66 مليار و622 مليون ليرة
بنك لبنان والمهجر	3 مليار و611 مليون ليرة	- 75 مليار و280 مليون ليرة	- 71 مليار و669 مليون ليرة	5 مليار و720 مليون ليرة	صفر	5 مليار و720 مليون ليرة
بنك لبنان والمهجر الاسلامي	31 مليون ليرة	53 مليون ليرة	84 مليون ليرة	53 مليون ليرة لبنانية	صفر	53 مليون ليرة لبنانية
بنك قدرال	- 3 مليار و329 مليون ليرة	- 39 مليار و397 مليون ليرة	- 42 مليار و726 مليون ليرة	- 390 مليار و397 مليون ليرة	- 60 مليار و395 مليون ليرة	- 99 مليار و792 مليون ليرة
مصرف سوسيتيه جنرال	61 مليار و392 مليون ليرة	- تريليون و339 مليار و198 مليون ليرة	- تريليون و277 مليار و806 مليون ليرة	- تريليون و300 مليار و778 مليون ليرة	صفر	- تريليون و300 مليار و778 مليون ليرة
بنك البحر المتوسط	- 65 مليار و318 مليون ليرة	- تريليون و387 مليار و995 مليون ليرة	- تريليون و453 مليار و312 مليون ليرة	تريليون و395 مليار و454 مليون ليرة	صفر	- تريليون و395 مليار و454 مليون ليرة
بنك بيروت والبلاد العربية	13 مليار و266 مليون ليرة	- 238 مليار و42 مليون ليرة	- 224 مليار و776 مليون ليرة	- 238 مليار و42 مليون ليرة	صفر	- 238 مليار و42 مليون ليرة
بنك الاعتماد الوطني	- 7 مليار و588 مليون ليرة	- 12 مليار و147 مليون ليرة	- 19 مليار و735 مليون ليرة	- 9 مليار و171 مليون ليرة	صفر	- 9 مليار و171 مليون ليرة
بنك بيبلوس	صفر	- 267 مليار و218 مليون ليرة	- 267 مليار و218 مليون ليرة	- 65 مليار و729 مليون ليرة	- 198 مليار و675 مليون ليرة	- 264 مليار و404 مليون ليرة
مصرف سارادار	6 مليار و277 مليون ليرة	- 233 مليار و96 مليون ليرة	- 226 مليار و819 مليون ليرة	- 169 مليار و602 مليون ليرة	- 59 مليار و177 مليون ليرة	- 228 مليار و779 مليون ليرة
بنك انترکونتيننتال	- 4 مليار و300 مليون ليرة	- 273 مليار و700 مليون ليرة	- 278 مليار ليرة	- 100 مليار و764 مليون ليرة	- 172 مليار و935 مليون ليرة	- 273 مليار و700 مليون ليرة
الاعتماد اللبناني	- 676 مليون ليرة	- 33 مليار و547 مليون ليرة	- 34 مليار و223 مليون ليرة	- 32 مليار و928 مليون ليرة	صفر	- 32 مليار و928 مليون ليرة
بنك عودة	14 مليار و965 مليون ليرة	- 377 مليار و733 مليون ليرة	- 362 مليار و768 مليون ليرة	- 384 مليار و858 مليون ليرة	صفر	- 384 مليار و858 مليون ليرة
بنك فينيسيا	14 مليار و740 مليون ليرة	- 37 مليون ليرة	14 مليار و704 مليون ليرة	- 37 مليون ليرة	صفر	- 37 مليون ليرة
البنك اللبناني - السويسري	- 3 مليار و953 مليون ليرة	- 123 مليار و229 مليون ليرة	- 127 مليار و182 مليون ليرة	- 98 مليار و940 مليون ليرة	صفر	- 98 مليار و940 مليون ليرة
بنك سوريا ولبنان	- 16 مليار و469 مليون ليرة	- 18 مليار و894 مليون ليرة	- 35 مليار و363 مليون ليرة	- 18 مليار و894 مليون ليرة	صفر	- 18 مليار و894 مليون ليرة
بنك بيروت	86 مليار و972 مليون ليرة	- مليار ليرة	85 مليار و972 مليون ليرة	- مليار ليرة	صفر	- مليار ليرة
البنك الاماراتي	743 مليون ليرة	- 63 مليار و468 مليون ليرة	- 62 مليار و726 مليون ليرة	- 53 مليار و603 مليون ليرة	صفر	- 53 مليار و603 مليون ليرة
بنك بيمو	- 101 مليون ليرة	مليار و935 مليون ليرة	مليار و833 مليون ليرة	مليار و935 مليون ليرة	صفر	مليار و935 مليون ليرة
بنك لبنان والخليج	36 مليار و648 مليون ليرة	532 مليون ليرة	37 مليار و180 مليون ليرة	442 مليون ليرة	صفر	442 مليون ليرة
البنك السعودي اللبناني	مليار و271 مليون ليرة	6 مليار و131 مليون ليرة	7 مليار و403 مليون ليرة	6 مليار و131 مليون ليرة	صفر	6 مليار و131 مليون ليرة
بنك الموارد	26 مليار و217 مليون ليرة	- 2 مليار و387 مليون ليرة	23 مليار و830 مليون ليرة	- 3 مليار و118 مليون ليرة	726 مليون ليرة	- 2 مليار و393 مليون ليرة
بنك الاعتماد	- 105 مليار و403 مليون ليرة	- 104 مليار و201 مليون ليرة	- 209 مليار و605 مليون ليرة	- 104 مليار و201 مليون ليرة	صفر	- 104 مليار و201 مليون ليرة
فرست ناشونال بنك	34 مليار و209 مليون ليرة	- 114 مليار و348 مليون ليرة	- 80 مليار و140 مليون ليرة	- 111 مليار و119 مليون ليرة	صفر	- 111 مليار و119 مليون ليرة
مصرف البركة	104 مليون ليرة	434 مليون ليرة	538 مليون ليرة	434 مليون ليرة	مليار و77 مليون ليرة	مليار و511 مليون ليرة
مصرف MEAB	- 33 مليار و723 مليون ليرة	- 64 مليار و230 مليون ليرة	- 97 مليار و953 مليون ليرة	- 56 مليار و321 مليون ليرة	- 7 مليار و924 مليون ليرة	- 64 مليار و245 مليون ليرة
بيت التمويل العربي	313 مليون ليرة	صفر	313 مليون ليرة	4 مليار و247 مليون ليرة	صفر	4 مليار و247 مليون ليرة
البنك الاسلامي اللبناني	103 مليون ليرة	78 مليون ليرة	180 مليون ليرة	94 مليون ليرة	- 16 مليون ليرة	78 مليون ليرة

المصارف التجارية اللبنانية بإدارات عربية

	2021 (حتّى 31 آذار)			2020		
المصرف	حساب الأعباء والإيرادات	نتيجة الدورة المالية	صافي الأرباح / الخسائر	حساب الأعباء والإيرادات	نتيجة الدورة المالية	صافي الأرباح / الخسائر
بنك مصر ولبنان	- 4 مليار و347 مليون ليرة	- 138 مليار و273 مليون ليرة	- 142 مليار و620 مليون ليرة	- 137 مليار و589 مليون ليرة	صفر	- 137 مليار و589 مليون ليرة
البنك التجاري السوري - اللبناني	- 5 مليار و756 مليون ليرة	صفر	- 5 مليار و756 مليون ليرة	- 36 مليار و939 مليون ليرة	صفر	- 36 مليار و939 مليون ليرة
بنك شمال أفريقيا التجاري	- 407 مليون ليرة	- 39 مليار و339 مليون ليرة	- 39 مليار و746 مليون ليرة	3 مليار و658 مليون ليرة	- 42 مليار و997 مليون ليرة	- 39 مليار و339 مليون ليرة
البنك الوطني الكويتي	- 860 مليون ليرة	- 26 مليار و508 مليون ليرة	- 27 مليار و368 مليون ليرة	- 26 مليار و508 مليون ليرة	صفر	- 26 مليار و508 مليون ليرة

مصارف تجارية لبنانية بإدارة اجنبية

	2021 (حتّى 31 آذار)			2020		
المصرف	حساب الأعباء والإيرادات	نتيجة الدورة المالية	صافي الأرباح / الخسائر	حساب الأعباء والإيرادات	نتيجة الدورة المالية	صافي الأرباح / الخسائر
بنك سيدروس	8 مليار و843 مليون ليرة	- 49 مليار و975 مليون ليرة	-41 مليار و132 مليون ليرة	- 50 مليار و255 مليون ليرة	صفر	- 50 مليار و255 مليون ليرة

المصدر: مصرف لبنان

في الواجهة

رئيس المجلس ينتظر مَن ليس يُنتظر

تدور البلاد في حلقة مفرغة. لا أحد من الأفرقاء خارجها، المشتغلون في تأليف الحكومة، كما المتفرجون عليه، والهامشيون. جميعهم داخلها محاصرون، مذعورون، ضائعون. من غير أن يملك أي منهم مفتاح كسر دوارانها والخروج منها، والنجاة بنفسه على الأقل

نقولا ناصيف

الجميع ينتظر الجميع: الرئيس نبيه برّي ينتظر الرئيس سعد الحريري الذي ينتظر بدوره تراجع الرئيس ميشال عون الذي ينتظر عودة الرئيس المكلف الذي ينتظر الرياض التي لا تنتظر الذين ينتظرونها كباريس. حزب الله ينتظر ما يجري من وراء الحدود لا في الداخل، شأن وليد جنبلاط الذي ينتظر ان يفيق من هذا الكابوس.

في زيارتها الأخيرة رئيس البرلمان (26 أيار)، قالت له السفيرة الاميركية دوروثي شيا عبارة غير مألوفة: تأخير تأليف الحكومة يذهل عقولنا، ولا يمكننا تفسيره.

اضافت انها تلاقيه في وجهة نظره، ان المشكلة داخلية وليست خارجية، لبنانية - لبنانية مئة في المئة، مع وقوفها الى جانب مساعيه.

ما لا يمكن تفسيره في هذا اللغز العصيّ على الفهم، ان الخلاف بين رئيس الجمهورية والرئيس المكلف بات يشكل حائطاً عالياً من الكره والبغض المتبادل، الشخصي، ما بينهما ضاعفت رسالة عون ثم رد الحريري عليه في مجلس النواب في تفاقمه. لم يعد أحد قادراً على ايجاد حل لتسمية الوزيرين المسيحيين الاثنين الاخيرين، بعدما ساد اعتقاد بأن تسميتهما هي العقبة الاخيرة. مع ذلك لا يلتقي الرجلان، ولا يجد برّي طريقة للتوسط بينهما على اتفاق عليها.

كل ما هو معروف الآن في المأزق، ان عون لا يريد بأي ثمن الحريري الى جانبه في ما تبقى من ولايته، مقدار ما لا يريد الرئيس المكلف من تكليفه سوى وضع هذا الامتياز في جيبه، من جراء عجزه عن تأليف حكومة ترضى عنها الرياض وتفتح له ابواب الدعم المالي من دول الخليج، ولا تغضب في الوقت نفسه حزب الله وتضعه قبالته وتجرده من الغطاء الشيعي، أخر المظلات التي يتعلق الحريري بحبالها. اهون الشرّين ان لا يعوّل على اي منهما دون الآخر، واكتفاؤه بالهروب من المشهد اللبناني برمته، وادارة الظهر له، ما دامت الورقة الثمينة في جيبه.

السفيرة الاميركية ليزي: مشكلة تأليف الحكومة داخلية وليست خارجية (هيثم الموسوي)

ليس ذلك وحده الاسوأ في المشكلة. ما ان انتهت جلسة مجلس النواب، السبت المنصرم (22 ايار) في الاونيسكو، حتى غادر الحريري الى ابوظبي. هناك انقطع اثره ولم يعد في الامكان اقتفاؤه. لا يُعلم إن كان يعقد اجتماعاً مع احد، او يتحرك من اجل البلاد كما يُسوّق المحيطون به، ولا يُعرف متى يعود، وماذا يحمل ولا يحمل. في كل يوم ينتظر برّي عودته في ضوء ما يُوعَد به. مع ذلك لم يصل بعد الى المحطة الاخيرة في علاقته معه، وهي ان الرئيس المكلف يخدعه. ليس برّي في احسن الاحوال ممّن ينامون على خدعة.

العصيّ على الفهم ايضاً ما حدث على هامش جلسة الاونيسكو السبت. بارفاضها، اجتمع برّي والنائب جبران باسيل ربع ساعة وقوفاً، ابصرهما خلالها الحريري، فسارع الى الخروج من القاعة الى الممر المغلق للمبنى المقصور على سيارتي رئيس المجلس والرئيس المكلف. في الممر انتظر مع مرافقيه وشرطة مجلس النواب ربع ساعة، قرب سيارته، ينتظر خروج برّي كي يطلع منه على ما دار بينه وبين باسيل، الى ان فقد الامل وهو ينتظر خروج رئيس المجلس، فركب سيارته وسافر للتو.

ليس في المعلومات المتصلة بجهود برّي ان الفرصة فاتته. لا يزال، بحسب المطلعين، على موقفه، يعتقد بأن البلاد امام الفرصة الاخيرة فعلاً، وهي الاسبوعان المقبلان فقط. بعد ذلك يخرج التسيّب والفوضى من ايدي الجميع. لذا يُسمع برّي يقول ان لا بديل من تأليف حكومة. ما يقوله لا تفسّره سوى عبارة ان العروض لا تحضر إن لم يحضر العريس الضائع الاثر. الذي يريد ولا يريد.

ليس سرّاً تدليع رئيس المجلس الرئيس المكلف ما دام - كحزب الله - يُعوّل على وجوده على رأس الحكومة بغية ضمان الاستقرار الداخلي بشقيه، السنّي - الشيعي والوطني العام.

دلّعه اولاً عندما استجاب لإصراره على تلفزة جلسة السبت الفائت، ما اتاح له على نحو غير مسبوق، من منبر المجلس بالذات لا عبر وسائل الاعلام، شن هجوم عنيف على رئيس الجمهورية اقرب الى مضبطة اتهام، الى حد اتهامه بمخالفة الدستور. سابقة لا نظير لها منذ اتفاق الطائف على الاقل.

دلّعه ثانية عندما لم يطلب رئيس المجلس شطب العبارة تلك من محضر الجلسة، على جاري ما اعتاده في حالات اقل اهمية، خصوصاً وان احكام النظام الداخلي ترعى مقام رئيس الدولة وتبعده عن اي اتهامات او التعرض له او اهانته، ما لم يكن ثمة اتهام ترعاه اصول دستورية قاسية ونصاب موصوف.

ربما فات المحيطين بالحريري تذكيره بما حدث لوالده، يوم استخدم عبارة مماثلة قال فيها ان رئيس الجمهورية يخالف الدستور، وبالكاد انقضت ثمان واربعين ساعة على اداء الرئيس اميل لحود اليمين الدستورية. في اليوم الثاني للاستشارات النيابية الملزمة حينذاك، الجمعة 27 تشرين الثاني 1998، لم تعجب الرئيس رفيق الحريري نتائجها (62 نائباً سمّوه)، والتفويض الكبير الذي اعطاه النواب الى الرئيس المنتخب لتوّه (31 نائباً). ابدى انزعاجه، ورغب في رفض تكليفه دونما اصداره بياناً رسمياً بذلك. استمهله الرئيس يومين، الى مطلع الاسبوع، فيلتقيان وتكون خواطر الحريري الأب هدأت بعد تجيير لحود الاصوات له. بمرور يومين، كشف الحريري الاب لوسائل اعلام ومحطات تلفزة اجنبية، مساء السبت 29 تشرين الثاني، انه اعتذر عن عدم قبوله ترؤس الحكومة من جراء ما عدّه مخالفة دستورية ارتكبها رئيس الجمهورية. صباح الإثنين 30 تشرين الثاني، في طريقه الى قصر بعبدا، سمع الحريري في سيارته من الاذاعة بيان رئاسة الجمهورية يعلن قبول لحود اعتذاره عن عدم تأليف الحكومة الجديدة.

دلّعه ثالثة في الموقف الذي اتخذه البرلمان في جلسة السبت، بناءً على اقتراح برّي وإن بإجماع الهيئة العامة، لم يساو في تعاملها مع وجهتي نظر الرئيسين، صاحب الرسالة وصاحب الرد عليها. لم تتبنَّ ما قاله عون فيها عن «عجز» الحريري، ولم توجّه في المقابل الى الرئيس المكلف اي لوم حيال تأخره في تأليف الحكومة والاتفاق مع رئيس الجمهورية، وخصوصاً ان الموقف المصوّت عليه ابقى المشكلة تراوح مكانها، على نحو ما هو حاصل منذ سبعة اشهر، وهو ان التأليف يُبنى على اتفاقهما. بعد انقضاء اسبوع على الجلسة تلك وتوصية المجلس، ساءت حال التأليف اكثر من ذي قبل: لا عروس

> ربع ساعة في المراب انتظر الحريري برّي كي يطلعه على حديثه مع باسيل

ولا عريس.

الى ان يعود من ابو ظبي، ليس ثمة ما يبعث على الاعتقاد بأن تأليف الحكومة وشيك. منذ السبت الفائت، يراهن الحريري والمحيطون به على مستجد وحيد لا علاقة له بالاستحقاق المعلّق، هو احياؤه بنجاح ما يحتاج اليه في كل حين، وسيعوزه اكثر في الاشهر المقبلة على ابواب الانتخابات النيابية: شدّ العصب السنّي، وتصويره اي محاولة لإرغامه على الاعتذار انكساراً جسيماً لطائفته، لا خسارة شخصية ناجمة عن رياضة الاخفاق التي اعتادها.

تقرير

قانون الانتخاب على المحكّ: مقاعد غير المقيمين والبطاقة الممغنطة

يسهل لدى السياسيين الكلام عن الانتخابات النيابية تأجيلاً أو تمسّكاً بمواعيدها. لكنّ الانتخابات قائمة على قانون انتخابي. والقانون الحالي عدا المطالبة بتعديله، فيه بنود اساسية تحتاج إما إلى تعليق العمل بها أو إلغائها. وكلا الامرين يحتاجان إلى ورشة تشريعية

هيام القصيفي

قبل سنة من انتهاء ولاية المجلس النيابي الحالي، بدأ الكلام عن الانتخابات النيابية من زاويتين: كلام قديم - جديد باحتمال تأجيلها، وكلام جديد عن الضغط الدولي لإجراء الانتخابات في موعدها. لكنّ حديث الانتخابات، الذي يستسهله السياسيون، لا يتعلق فحسب بموعد الاستحقاق النيابي. على الطريق إليه، أفخاخ ومشكلات تحتاج إلى معالجات قبل الوصول إلى موعد الاستحقاق. أولها مشكلة القانون في ذاته. المطالبون بتعديله، كالرئيس نبيه بري، لا يزالون على موقفهم رغم الاعتراضات. ولم يفوّت رئيس المجلس، في كلمته في ذكرى التحرير، دعوته إلى إقرار قانون للانتخابات قائلاً: «لا يريدون دائرة انتخابية واحدة فلتكن دوائر موسّعة خارج القيد الطائفي كحد أدنى على أساس النسبية وإنشاء مجلس للشيوخ تتمثل فيه الطوائف بعدالة».

ليس النائب وليد جنبلاط أقل حماسة لتعديل القانون، كما تيار المستقبل. في المقابل لا تزال القوى المسيحية قاطبةً، ترفضه، وهي لا تتفق على أمر يوحّدها كاتفاقها على رفض تعديله.

لكن بقاء القانون على حاله، سيطرح إشكالات أخرى على طريق تنفيذ بعض البنود فيه، التي حدّد استخدامها «في العملية الانتخابية المقبلة»، وهي تفترض إما تعليقاً أو تعديلاً لتعذّر القيام بها في ظل الظروف الراهنة. وهذا يفترض ورشة تشريعية، فكيف يمكن الاتفاق عليها في ظل الانقسام حول بقاء القانون إذا فُتح الباب أمام مناقشته؟

أول تلك البنود ما يتعلق بتخصيص 6 مقاعد نيابية لغير المقيمين. إذ نصّت المادة 122 على أن «تُضاف ستة مقاعد لغير المقيمين إلى عدد أعضاء مجلس النواب ليصبح 134 عضواً في الدورة الانتخابية التي ستلي الدورة الانتخابية الأولى التي ستُجرى وفق هذا القانون. في الدورة اللاحقة تُخفض ستة مقاعد من عدد أعضاء المجلس النيابي الـ 128 من الطوائف نفسها التي خُصصت لغير المقيمين في المادة 112 من هذا القانون وذلك بمرسوم يُتخذ في مجلس الوزراء بناءً على اقتراح «الوزير»، والمقاعد الستة مخصّصة للطوائف المارونية والأرثوذكسية والكاثوليكية والسُّنّية والشيعية والدرزية، وبالتساوي بين القارات الست.

وبما أن الانتخابات التي ستُجرى في عام 2022، هي الدورة التي تلت الدورة الأولى التي أُجريت وفق القانون الحالي، كيف يمكن تحقيق هذا البند، وإجراء انتخابات هي الأولى من نوعها، في ظل الظروف المتعلقة بالعملية الإدارية نتيجة الوضع المترهّل والسياسي المتعثر؟ ناهيك بالإحاطة السياسية بعملية هي الأولى من نوعها في لبنان، خصوصاً أن الدورة التي تلي انتخابات عام 2022 يفترض أن تشهد خفض 6 مقاعد من عدد أعضاء مجلس النواب الـ 128، من الطوائف نفسها التي

> كيف يمكن إجراء الانتخابات من دون البطاقة الممغنطة التي لم يُعمل بها سابقاً؟

خُصّصت لغير المقيمين؟

ثانياً، لم يعد خافياً وضع السفارات والقنصليات والأزمة المالية التي تضربها في عدد من الدول واحتمال إقفال بعضها وتعذّر قيام بعضها الآخر بأقل الأعمال المطلوبة. فكيف يمكن وفق ذلك تنفيذ المادة 11 من القانون التي تنص على حق غير المقيمين في الاقتراع «في مراكز انتخابية في السفارات والقنصليات أو في أماكن أخرى تحددها الوزارة...»؟ كذلك الأمر يفترض ألا تتجاوز المهلة المعطاة للراغبين في الاقتراع تسجيل

(أرشيف)

أسمائهم لدى القنصليات أو السفارات 20 تشرين الثاني من العام الذي يسبق موعد الانتخابات أي السنة الحالية، قبل أن يسقط حق الاقتراع في الخارج. فهل يمكن للسفارات والقنصليات في وضعها الراهن والشغور في معظمها، إجراء مثل هذه العملية؟ علماً أن احتفاليات عدة جرت على المستوى الرسمي في الانتخابات السابقة نتيجة بدء تنفيذ هذه المرحلة التي اعتُبرت أنها الوحيدة من البنود الإصلاحية التي نُفذت في قانون الانتخاب. وكيف يمكن القفز فوق «هذا الإنجاز» وعدم التعامل معه بدقّة حين يكون الفراغ الدبلوماسي يضرب معظم المراكز في الاغتراب؟

ثالثاً، تنص المادة 84 من قانون الانتخابية الحالي المتعلق بالبطاقة الانتخابية الممغنطة على الآتي: «في العملية الانتخابية المقبلة، على الحكومة بمرسوم يُتخذ في مجلس الوزراء بأكثرية الثلثين، بناءً على اقتراح الوزير، اتخاذ الإجراءات الآيلة إلى اعتماد البطاقة الإلكترونية الممغنطة في العملية الانتخابية المقبلة». فكيف يمكن إجراء الانتخابات من دون هذه البطاقة، التي تم تجاوز العمل بها سابقاً، ومن الذي سيقبل أو يرفض إجراء العملية الانتخابية من دونها. علماً أن كل ما ورد في حال تجاوزه من دون قوننته، يعني أن الانتخابات ستكون قابلة للطعن.

تضاف إلى ما سبق بنود أساسية وتفصيلية تحتاج إلى مجلس الوزراء كمثل تعيين هيئة الإشراف على الانتخابات، بمرسوم في مجلس الوزراء، وبحسب نص القانون فإنها تُعيّن ضمن مهلة ثلاثة أشهر من تاريخ صدور القانون الحالي. فكيف ستُعالج هذه المسألة في ظل حكومة مستقيلة؟ إذ بين هذه الحكومة المستقيلة ومجلس نواب منقسم بين قواه السياسية على بقاء القانون ذاته أو تعديله، هناك مجموعة بنود تحتاج من الآن إلى البحث الجدي، لأنها ليست تفصيلية، بل أساسية في صلب العملية الانتخابية. وهي ليست عملية إدارية بل هي ورشة عمل تحتاج إلى مجلس الوزراء كما إلى مجلس النواب.

تقرير

هل يسعى ماكرون إلى رفع العقوبات الأميركيّة عن باسيل؟

ميسم رزق

على مدى أشهر، بعد فرض وزارتَي الخزانة والخارجية الأميركيتين عقوبات على رئيس تكتل «لبنان القوي» النائب جبران باسيل، لم يتوقف التشفّي بالخصم الأكبر لغالبية الأطراف الداخلية. فمستقبله السياسي، في نظر معارضيه، أصبح بمقتل، ويسهم لم يحلموا به، كونهم رأوا أن القرار أخرج باسيل من صدارة السباق إلى رئاسة الجمهورية. وكان هؤلاء يمنّون النفس باستكمال هذه العقوبات بأخرى أوروبية تحدّثت عنها فرنسا، حتى تكون الضربة قاضية لا قيام بعدها. إلا أن أحداثاً كثيرة تبعت هذه العقوبات جعلت فرصة خروج باسيل من هذه الشباك أكبر.

قبل مدّة، زارت شخصيات لبنانية باريس وعلى جدول أعمالها لقاءات مع مسؤولين فرنسيين على صلة بالملف اللبناني، وقد خالفت المعلومات التي سمعتها التوقعات إلى حدّ وصفها - باستهزاء - الرئيس إيمانويل ماكرون بـ«العوني». إلا أن جدية هذه المعلومات تكمن في أن الاتجاه الفرنسي، وعلى عكس كل ما أوحت به زيارة وزير الخارجية جان إيف لودريان الأخيرة لبيروت، يصبّ في مصلحة باسيل. إذ على المفترق الإقليمي والدولي يغلب الترّيث على موقف الإليزيه الذي بات رئيسه مقتنعاً بأنه «لا يُمكن لفرنسا أن تحافظ على دورها ووجودها في المنطقة إلا عبر حجز مكانة لها في لبنان، وهذه المكانة لا يُمكن أن تُؤمّن إلا من خلال الإبقاء على علاقة جيدة مع التيار الوطني الحر كما مع حليفه الأساسي حزب الله». ففي حال «نجحت محادثات فيينا بين الإيرانيين والأميركيين من دون أن تنجح باريس في فرض بصماتها، فإن ذلك سيغلق أمامها الباب الأخير في منطقة الشرق الأوسط».

وفي هذا السياق، سمع المسؤولون

> استثناء باسيل من قائمة لقاءات المسؤولين الفرنسيين لا يعكس حقيقة ما يدور في الإليزيه

اللبنانيون، وجُلّهم من غير المعجبين بباسيل، من أعضاء في فريق الإليزيه أن «الرئيس ماكرون بات مقتنعاً أن الطريق إلى دعم العونيين في المشهد اللبناني يمرّ من خلال إعادة تأهيل صورة باسيل دولياً». كذلك فإن فريق لبنان في العاصمة الفرنسية يرى أن العقوبات الأميركية لم تؤدّ إلى تغيير سياسة باسيل، وبالتالي فإن مصير أيّ عقوبات أوروبية سيكون مشابهاً لجهة عدم القدرة على الضغط على رئيس «التيار». لذا فإن ماكرون، وبحسب ما أسرّ المسؤولون الفرنسيون «بدأ يتحرك في اتجاه البيت الأبيض، حيث يحاول مع الإدارة الأميركية الجديدة رفع العقوبات عن باسيل». وأشار هؤلاء إلى أن استثناء باسيل من قائمة لقاءات المسؤولين الفرنسيين لا يعكس حقيقة ما يدور في الإليزيه، فالفرنسيون لا يريدون أن يذهبوا بعيداً في تحدّي الأميركيين، لكنهم على خطّ موازٍ بدأوا العمل فعلاً على حلّ ملف رئيس التيار الوطني الحرّ. حتى إن نبرة حديثهم تجاه الرئيس المكلف سعد الحريري تبدّلت، بعدَ أن لمسوا من خلال التجربة عدم التزامه بتعهّداته ولا تسهيله لمبادرتهم، كما تأكدوا بأنه يتحمّل هو أيضاً مسؤولية التعطيل، وليس كما كان يُروّج بأن باسيل وفريق رئيس الجمهورية هم المسؤولون الحصريون عن نسف كل صيغة للتفاهم. وفيما أكدت مصادر في التيار الوطني الحر وجود مثل هذه الأجواء، إلا أنها «تحاذر تصديقها، فلا شيء مؤكداً حتى الآن. كما أنه لا يُمكن التسليم كلياً بما يقال عن أن الرئيس الفرنسي يأخذ جانب الرئيس ميشال عون والوزير جبران باسيل».

تقرير

«معركة» جديدة بين عويدات والعونيّين: نقابة المحامين تحتجّ على «الدولة البوليسيّة»

اشتعلت الحرب مجدّداً بين التيار الوطني الحر والنائب العام التمييزي القاضي غسان عويدات. التيار غير راضٍ عن مدّعي عام الجمهورية، يتهمه بعرقلة فتح ملفات فساد، فيما يرد مقربون من عويدات بأنه سبق أن أحال جميع ما ورد إليه من شكاوى إلى النيابات العامة المختصة، مثل ملفّي وزارة المهجرين وكازينو لبنان اللذين باتا في عهدة النائبة العامة في جبل لبنان غادة عون، منذ مدة طويلة. ردُّ المقربين من عويدات يهدف إلى إحراج العونيين، على قاعدة أن المدعية العامة في جبل لبنان محسوبة عليهم، وسبق أن دعموها

> شنّه رئيس التيار التحقيق مع أوريان ورزّوق بما تعرّض له العونيون قبل عام 2005

في وجه النائب العام لدى محكمة التمييز، عندما قرّر توزيع مهامّ النيابة العامة في جبل لبنان، ليُبعد القاضية عون عن مباشرة العمل بالقضايا المالية.

آخر المواجهات أتت بعد توقيف فرع المعلومات في قوى الأمن الداخلي، مؤسس تحالف «متّحدون»، المحامي رامي عليق، أول من أمس، بناءً على شكوى تقدم بها مجلس القضاء الأعلى ضده على خلفية فيديو صوّره عليق أمام المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي الخميس. والجرم المنسوب إليه هو شتم القضاء وتهديد عدد من القضاة. وعزّز من شدة المواجهة عدم تراجع القاضي عويدات عن قراره بإبقاء عليق موقوفاً. فقد استمع المحامي العام التمييزي القاضي غسان خوري إلى إفادة عليق على مدى 3 ساعات أمس حيث أصرّ على التوصيفات التي أطلقها ضد القضاء. وأحاله موقوفاً على قاضي التحقيق الأول بالإنابة القاضي شربل أبو سمرا الذي سيباشر استجوابه مطلع الأسبوع المقبل.

في الفيديو، وجّه عليق اتهامات مباشرة إلى القاضي عويدات واصفاً إياه بالمجرم وحمّله مسؤولية التغطية على كارتيلات الفساد. ووصف القضاء بـ«المعفّن» و«المكمّخ» معتبراً ما معناه أن بعض القضاة سيذهبون إلى المزابل. هذا الفيديو استفزّ مجلس القضاء الذي رأى فيه تطاولاً غير مسبوق من محامٍ ضد الجسم القضائي وتحقيراً لعدد من قضاته واعتبر أنّ عليق اقترف جريمة مشهودة لا تحتاج إلى إذن مسبق من نقابة المحامين لملاحقته في غضون 24 ساعة. وبحسب المصادر القضائية، بعد الاتصال بعليق للحضور ضمن مهلة الجرم المشهود تمنّع عن الحضور، عندها أصدر المحامي العام التمييزي غسان خوري مذكرة إحضار بحقه، أوقف عليق أمام مكتبه من قبل ثلاثة عناصر قيّدوه بالقوّة واقتادوه إلى مقر المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي. هذه الخطوة أشعلت مواقع التواصل الاجتماعي التي تضامن عدد كبير من روادها مع المحامي عليق، استنكاراً لـ«التصرّف القمعي الذي يهدف إلى كمّ الأفواه». وأعلنت نقابة المحامين الإضراب ليومين احتجاجاً على «توقيف المحامي عليق والانزلاق نحو الدولة البوليسية». وسبق توقيف عليق، اقتياد الناشطين في التيار الوطني الحر شربل رزوق وطوني أوريان، إلى التحقيق، على خلفية تعليق لافتة ضد مدّعي عام التمييز القاضي غسان عويدات، «بهدف الاستماع لإفادتهما لكشف هوية ممول حملة الذمّ بالنائب العام لدى محكمة التمييز والذي يُشكّل جرماً تبعاً للمادة 386 من قانون العقوبات وجرم زعزعة الثقة بالقضاء وتضليل الرأي العام عن طريق إشاعة وقائع كاذبة حول مصير الملفّات المتضمّنة جرائم الفساد». وأعلنت النيابة العامة عبر حسابها على «تويتر» أن «لا قرار بتوقيف أي شخص في الملف، إنما وجود هؤلاء لدى الضابطة العدلية بهدف إلى أخذ إفادتهم فقط». وقد أطلق سراح أوريان ورزّوق، بسند إقامة، ما يعني إمكان استدعائهما مجدداً. ونأت قيادة التيار بنفسها عن لافتات أوريان ورزّوق، معتبرة أن حملتها على عويدات كانت بدافع شخصي منهما، وأن رئيس التيار، النائب جبران باسيل، كان قد اعترض على «تسميتهما لعويدات». لكنّ باسيل قام ودعم موقفهما، مشبّهاً، في تغريدة على موقع «تويتر»، توقيفهما بالملاحقات التي كان يتعرض لها ناشطو التيار قبل عام 2005. وفيما نشر باسيل تغريدته بعد توقيف المحامي عليق، أكّدت مصادره أن لا صلة للأخير بالتيار، وأن موقف رئيس «الوطني الحر» محصور بدعم الناشطين العونيين الذين تعرضوا للاستدعاء على خلفية التعبير عن موقفهم، «فيما رئيس الجمهورية يتعرّض للشتم علناً، من دون أن تتحرك النيابة العامة لملاحقة مطلقي الشتائم بحقه».

تزامن كل ذلك مع حملة أطلقها مناصرو التيار الوطني الحر ضد القاضي عويدات تحت عنوان: «شو عملت يا غسان باكثر من 35 ملف؟»، فيما بعث مجلس القضاء الأعلى برسالة إلى عويدات يتحدّث فيها عن ورود اتصال من مجهول إلى المجلس، هدّد فيه المتصل «بإلحاق الضرر الجسدي بكل من رئيس مجلس القضاء الأعلى سهيل عبود ومدعي عام التمييز غسان عويدات وعائلتهما». وطلب المجلس من القاضي عويدات اتخاذ الإجراءات المناسبة لمعرفة هوية المتصل وتوقيفه ومعرفة دوافع الاتصال.

وقد دخلت على خط المواجهة أمس القاضية غادة عون عبر حسابها على «تويتر» قائلة: «أنو انا ما عم افهم. هل في ناس فوق المساءلة. ممنوع تحميلهم اية مسؤولية. مدعي عام تمييزي في جريمة العصر التي دمرت نصف بيروت وقتلت 200 ضحية وشردت المئات... وثبت أن التفجير ناتج عن التلحيم الذي أمر به حضرة مدعي عام التمييز ثم بحفظ الملف وتدمر بيروت. وين المساءلة؟ هذه مسخرة لا عدالة».

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

تقرير

طرابلس: الجيش يضبط توتّر الاحتفال بفوز الأسد

عبد الكافي الصمد

تجاوزت طرابلس قطوعاً كبيراً مساء أول من أمس، بعدما نجح الجيش اللبناني والقوى الأمنية في ضبط الأوضاع ومنع خروجها عن السيطرة، بسبب توتّر شديد ساد المدينة في الأيام الأخيرة، وتحديداً عشية الانتخابات الرئاسية السورية، على خلفية إعلان أهالي محلة جبل محسن وسوريين مقيمين في المدينة نيّتهم الاحتفال بفوز الرئيس السوري بشّار الأسد بالرئاسة.

فخلال الساعات الـ48 التي سبقت الاستحقاق الرئاسي السوري، رزحت طرابلس تحت عبء ثقيل من الشائعات والمخاوف من احتمال عودة التوتّر الأمني إلى المدينة مجدّداً، نتيجة قلق أن يرافق الاحتفالات التي بدأت الاستعدادات لها مسبقاً، أجواء من الاستفزاز ستقابل بردود فعل، ما سيؤدي إلى استعادة المدينة أجواء جولات العنف الـ22 السابقة، التي وضعت خطّة أمنية في 1 نيسان 2014 حدّاً لها.

وزاد من منسوب القلق أنّ هذه الشائعات والمخاوف ترافقت مع حوادث أمنية متفرّقة طبلة الأيام السابقة، تمثلت في رمي مجهولين قنابل يدوية وإطلاق قذائف إنيرغا على محاور الاشتباك التقليدية في المدينة، توزّعت بين أحياء شارع سوريا في باب التبّانة وساحة الأميركان في جبل محسن وساحة البقّار في القبّة. كذلك أقدم مسلحون مجهولون على إطلاق النار في الهواء من سيارة أثناء مرورها على أوتوستراد التبّانة، بعدما كان الجيش اللبناني قد أزال دشمة اسمنتية وُضعت داخل أحد أحياء باب التبّانة المتاخمة لجبل محسن، وتوقيفه 5 أشخاص خلال عمليات دهم في باب التبّانة ومصادرة أسلحة.

هذه الأجواء دفعت الجيش اللبناني وقوى الأمن الداخلي إلى اتخاذ عدّة إجراءات أمنية استباقية مشدّدة في محلة جبل محسن ومحيطه في باب التبّانة والقبّة والمنكوبين وحارة البرانية، من دوريات وحواجز وانتشار أمني وإغلاق الطرقات المتداخلة كافةً بين هذه المناطق، بشكل أعاد إلى الأذهان الإجراءات الأمنية الضارمة التي اتُّخذت قبل 7 سنوات إبّان تنفيذ الخطة الأمنية في المدينة، ومنعوا بعد إعلان النتائج والاحتفال بالفوز سيّارات مناصرين لحزبَي القوّات اللبنانية والكتائب.

هذا الهدوء الذي شهدته طرابلس يومها، وتعاملها بصورة طبيعية من دون تشنّج مع استحقاق الانتخابات الرئاسية السورية، يبدو أنّه لم يرُق للبعض، من الذين اعتادوا أن يجعلوا المدينة دائماً «صندوق بريد» يرسلون عبره رسائلهم السياسية والأمنية المتشنّجة والمتفجّرة. فسرعان ما بدت أجواء التوتّر والخوف تعود إلى المدينة، وسط دعوات تحريض على منصّات وسائل التواصل الاجتماعي زادت من منسوب القلق. وتزامن ذلك مع

> عاد مسلسل رمي القنابل إلى خط التماس التقليدي بين التبانة وجبل محسن

ارتفع الأعلام السورية وصور الأسد من الخروج من المنطقة.

مصدر أمني أوضح لـ«الأخبار» أنّ «هذه الإجراءات تهدف إلى منع حصول أيّ توتر أمني، وضبط الأوضاع ومنعها من التفلّت»، مشدّداً على أنّه «جرى إبلاغ جميع من يعنيهم الأمر بأنّه من غير المسموح حصول أي خرق أو توتّر أمني، وأنّ الردّ على من يقوم به سيكون قاسياً». وقد أوقف الجيش أول من أمس أحد المشتبه في قيامهم برمي قنبلة يدوية، اعترف، بحسب بيان المؤسسة العسكرية، بما يُنسب إليه. لكنّ اللافت أنّ أجواء التوتّر التي رافقتها مخاوف ودعوات تحريض على وسائل التواصل الاجتماعي مؤخّراً، لم تظهر في طرابلس يوم الخميس الماضي، في 20 أيّار الجاري، عندما توجّه المئات من أبناء جبل محسن وسوريون مقيمون في المحلّة والمدينة، إلى السفارة السورية في بيروت للمشاركة في عملية الاقتراع في الانتخابات الرئاسية السورية، على عكس ما حصل حينها في جونيه وكسروان من اعتداءات على مواطنين سوريين كانوا في طريقهم إلى سفارة بلادهم، من قِبَل وستكون طرابلس منارة للعيش المشترك في لبنان».

بدوره، أكّد معاون الأمين العام للحزب علي فضّة أنّ «من حقنا أن نحتفل بهذا الحدث، لكن ليس أن نجعل طرابلس تتوجس وتخاف»، مؤكداً أنّه «لن يكون هذا اليوم كما أشاعوا وتمنّوا واستغله البعض، بل سيكون احتفالاً حضارياً يليق بالمناسبة». وشدّد على أنه «ليس مسموحاً إطلاق النار ابتهاجاً، وبنسّق مع الأجهزة الأمنية لضبط الوضع، ولن نسمح للمصطادين في الماء العكر بإعادة عقارب الساعة إلى الوراء، لأن أمن طرابلس واستقرارها من مسؤوليتنا جميعاً»، قبل أن يعود بعد انتهاء الاحتفال ليتوجه بالشكر إلى أهالي جبل محسن «على الوعي والالتزام؛ فقد احتفلتم برقي، حيث لم يُسجَّل أي خرق أمني»، وإلى «الجيش اللبناني واستخباراته وكلّ عين ساهرة على الأمن».

في المقابل، رأى عربي عكاوي، نجل مؤسّس المقاومة الشعبية الراحل في باب التبّانة، خليل عكاوي، أنّ «الخوف مفتعل ومضخّم وغير جدّي، لأنّه لا توجد تحضيرات على الأرض تشير إلى احتمال تجدّد جولات العنف، ولا تمويل ولا تحريض إلا على وسائل التواصل الاجتماعي، لكون الهمّ المعيشي وتأمين لقمة الخبز في الجانبين يشغلان الجميع، عدا عن أنّ الإجراءات الأمنية المشدّدة التي يقوم بها الجيش اللبناني قد تركت أجواء ارتياح واسعة، وهي قادرة على ضبط المندسّين والمتفلّتين والطابور الخامس».

وشدّد عكاوي الذي اعتبر أنّه «يوم ويمرّ»، سأل: «هناك أناس في طرابلس يؤيدون الرئيس السوري، ماذا نفعل معهم، هل يقتل بعضنا بعضاً حتى نكون ميسوطين؟»، وهو عاد وعلّق بعد مرور قطوع الاحتفال على خبر قائلاً: «لو أن التيّارات السياسية أمّنت غطاء للقوى الأمنية مثلما حصل اليوم، لما حصلت أيّ جولة اشتباكات، وكنّا وفّرنا الكثير على المدينة وأهلها».

وسبق الاحتفال أيضاً مناشدة الشيخ نبيل رحيم في رسالة بثّها على وسائل التواصل الاجتماعي، «شباب طرابلس التحلّي بالحكمة وضبط النفس، وعدم الانجرار إلى مخططات أعداء المدينة عبر القلاقل والفتن، فلا نتيجة لها إلّا الخراب».

على الحافة

طريق وادي الجماجم الضيّق أفضل من التشويه

حبيب معلوف

آن الأوان لإعادة النظر في فكرة توسيع الطرق الجبلية التي يصرّ البعض على إدراجها في خانة «الخدمات» و«الإنجازات»، بدل تبني أفكار أكثر حداثة وجدوى كالتنمية المتكاملة والمستدامة. فتاريخياً، لم تجنِ المناطق من توسيع الطرق سوى زيادة التشويه والعمران وضرب معالم الطبيعة البكر والتنوّع فيها. وادي الجماجم، في المتن، آخر الأمثلة على التشويه المجاني ما لم يتم التراجع عن مشاريع شكلية كتوسيعه، نحو تنمية أشمل وأعمق.

بصرف النظر عن الحيثيات والأحداث التاريخية التي استدعت إلصاق الجماجم بأجمل الوديان في لبنان، فإن هذا الوادي الذي يفصل بين بلدتَي بتغرين وبسكنتا من الأودية البكر، نسبياً، والغنية بالتنوع البيولوجي الذي يفترض حمايته. فهذا الوادي الذي لا يزال قليل العمران، كان يفترض استمرار حمايته من العمران العشوائي، ومن مياه صرف القرى المجاورة، ومن إلقاء الردميات بعشوائية على جانبَي طريقه. أما توسيع الطريق على طريقة «استثمر واضرب ضربتك وامشِ»، عبر تركيب كسارة بحص لتكسير الردميات الناجمة عن أعمال التوسيع وبيعها، أو بيع الصخور، فأمر غريب في هذه الظروف التي تمر بها البلاد، ولا تفسير له غير الاستثمار في القطاع أو في الانتخابات الآتية! فلو كان هذا المشروع يتعلّق بالسلامة العامة، لكان المطلوب إنشاء «مونسات»، أو حواجز إسمنتية، تحمي من انزلاق السيارات إلى الوادي، وإبقاء الطريق كما هو، متوسط العرض، لدفع السيارات إلى إبطاء السير وتجنب الحوادث القاتلة في عمق الوادي. فمن شروط السلامة العامة في الأودية والمناطق الشديدة الانحدار التي تتضمن مخاطر الانزلاق، أن تبقى الطرقات شبه ضيقة للحؤول دون تهوّر السائقين. وإذا كان المطلوب تأمين السلامة العامة لأهالي المنطقة، فالأوْلى معالجة مياه الصرف المتدفقة إلى الوادي، والتي تلوث المياه الجوفية ومياه الينابيع والأراضي الزراعية والحرجية.

كان يمكن تفهّم هذا النوع من المشاريع لو اقترحه مغترب متموّل يريد أن يستثمر في منطقته للظهور، كما يحصل في أي منطقة، مع العلم أن مثل هذه المشاريع غالباً ما تكون شكلية وغير مدروسة ولا تندرج في خطط الدولة، ولا تصل إلى النتيجة المرجوّة منها. أما أن يأتي المشروع من أعضاء في كتل نيابية كبيرة موجودة في مجلسَي النواب والوزراء ويفترض أن تكون لديها تصورات واستراتيجيات شاملة لمعالجة قضايا البلد والمناطق... فأمر يدعو إلى الغرابة الشديدة! وعندما تسلّمت هذه القوى وزارة البيئة، كان يفترض أن تضع استراتيجية متكاملة لترتيب الأراضي ولإدارة ملف المقالع والكسارات والقطاع بمجمله، مع خطط لمعالجة الردميات وتعيين مراكز في كل محافظة أو قضاء لمعالجتها وإعادة استخدامها والتوفير على الجبال والوديان التدمير العشوائي من جراء المقالع والكسارات والمرامل ورمي الردميات... والنفايات. فتحت أي عنوان يندرج هذا المشروع؟ كان البعض، في فترات انتخابية سابقة، يعد أهالي المنطقة بمد جسر جوي بين الجبال للتخلص من الدوران داخل الوادي بين بسكنتا وبتغرين، وللإبقاء على جمال هذا الوادي والحؤول دون أن تطاوله يد العمران... رداً على أحلام ووعود البعض الآخر بالتوسيع. الا أن أحداً لم يفكر يوما بمشاريع للتنمية المستدامة والمتكاملة في هذه المنطقة أو في المناطق اللبنانية كافة، وما الذي يساعد أهالي القرى فعلاً على البقاء في أرضهم وقراهم والمساعدة في تأمين حاجاتهم الحقيقية والأساسية... غير شقّ الطرق وتوسيعها.

بصرف النظر عن الخلفية الحقيقية لمشروع التوسعة لطريق هذا الوادي، يطرح سكان المنطقة أسئلة كثيرة حول كيفية اختيار الموقع لتركيب الكسارة ونوعها وحجمها، وهل ستلتزم بالشروط البيئية؟ ومن درس الأثر البيئي لتوسيع الطريق؟ وهل عُرض الموضوع على وزارة البيئة؟ ولماذا اعتُبر هذا الخيار أولوية بيئية أو اقتصادية، وعلى أي أساس؟ في وقت كان يُفترض أن تكون الأولوية معالجة مياه الصرف أو دعم الإنتاج الزراعي والحيواني، أو فتح مستشفى أو مستوصف كبير لسكان هذه المنطقة المحرومين من رعاية صحية حقيقية...

رسمياً، وادي الجماجم مصنّف كـ«موقع طبيعي» بموجب القرار الرقم 97/1 (بتاريخ 1998/7/2). ويحدّد مرسوم تقييم الأثر البيئي الرقم 2012/8633 الأصول المتبعة للقيام بهذا التقييم. ولا نعتقد أن هناك من درس هذا الجانب إضافة إلى جوانب شروط السلامة على الطرقات، ومن جراء مصادر أخرى كثيرة.

مصادر وزارة البيئة نفت أن تكون قد تسلّمت أي طلب لدراسة الأثر البيئي للمشروع، أو أي دراسة لتقييمه. وبصرف النظر عن هذا الموضوع الذي لم يمنع قيام مشاريع أكثر خطورة في أكثر من منطقة في الفترة الأخيرة، قبل وبعد صدور المراسيم ذات الصلة، قد لا تحتاج هكذا مشاريع إلى دراسة أثرها، بقدر ما تحتاج إلى عقل دولة تفكر بشكل استراتيجي ومتكامل في وضع أسس للتنمية الحقيقية والمستدامة، ولا سيما في المناطق البعيدة عن العاصمة أو عن المدن الكبرى.

سبق أن عرف المتن هذا النوع من المشاريع، يوم تمّ شق طريق المتن السريع وتركيب كسارات متنقلة، يومها استفاد من استفاد. فهل هناك خطط كهذه الآن؟

كما يمكن أن تكون توسعة طريق المتن السريع، ومشروع توسيع طريق «بيت مسك»، المتفرع عنه، نموذجاً، إذ تم توسيع الطريق في هذه المنطقة وتشويهها، فيما تُركت مياه الصرف تتدفق في الوادي! ومن يمر في هذه المناطق التي تم تصنيفها «سياحية» يعرف، بسبب الرائحة القوية الدائمة، عما نتحدث! وقد تمّت المطالبة سابقاً بفتح تحقيق حول كيفية تمرير هذه المشاريع من دون دراسات لأثرها البيئي والصحي، وحول دور الوزارات المعنية وتواطئها في تمرير هذه المشاريع المشبوهة.

في الحصيلة، تنمية القرى ما بعد وادي الجماجم تحتاج إلى وسائل أخرى غير توسيع الطرق. فهي تعاني من صعوبة تصريف الإنتاج الزراعي ومن انعدام الأمن الصحي والاقتصادي والاجتماعي..الخ. فهل نعيد النظر في المبادرات تحت عناوين أكثر قرباً من الحاجات الحقيقية للناس، بدل استسهال الاستثمار في المآسي؟

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير - المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15-6663314 01 - 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

عناصر المأزق الصهيوني في أميركا بعد غزّة

أسعد أبو خليك *

تمرُّ دولة الاحتلال الإسرائيلي والحركة الصهيونيّة العالميّة بمأزق، وقد تجدّدَ أخيراً بعد حرب غزة. والمأزق الأكبر نتج عن حرب تموز، عندما انعقدت جلسات واجتماعات في المدن الأميركيّة الكبرى، والتي يكون فيها نفوذ صهيوني هائل، لبحث المأزق الصهيوني. والذي عاش في أميركا، على مرّ العقود، يُدرك كم أنّ النفوذ الصهيوني، وإن لا يزال هائلاً على مستوى الكونغرس والبيت الأبيض، يتضاءل في أوساط الرأي العام والثقافة الشعبيّة، وحتى في الإعلام. لم تعد هناك سطوة صهيونيّة صلبة تمنع بروز، أو ظهور وجهة نظر معادية للصهيونيّة. عندما وصلتُ إلى أميركا، في عام 1983، كان الخطاب العربي عن الصهيونية مرتبكاً، لا بل خجولاً. كان الخطيب العربي (حتى من المعروفين من الأكاديميّين العرب هنا) يعرق ويتلعثم إذا ما سأله سائل عن موقفه من الاعتراف بإسرائيل، وكان الجواب من طبيعة القول بأنّ العرب لا يمكن أن يكونوا معادين للساميّة لأنّهم... ساميون. كان الصهاينة يسيطرون على خطابهم وعلى خطاب أعدائهم، لأنّهم يفرضون أجندة ومفردات الحوار والسجال. كنّا نُعرض وجهةً نظرنا، لكن بمعاييرهم. أذكر أنّني عندما بدأتُ في إلقاء المحاضرات هنا، في سنوات الدراسة الجامعيّة، أدركتُ بسرعة الخطّة الصهيونيّة في التعامل مع الخطباء العرب: يزرعون أناسهم بين الحضور، ويهرعون إلى الميكروفون عندما يُفتح المجال لإلقاء الأسئلة، ويكون أول سؤال دائماً منهم: هل أنت مع الاعتراف بإسرائيل، نعم أم لا. وبسرعة لاحظتُ أنّ الجواب عندما يكون حازماً وواضحاً ضدّ الاعتراف، يُعطّل الخطّة الصهيونيّة في التعطيل على المحاضر، مع أنّ ذلك يترافق مع حملة شجب من قبل قيادات في «منظمة التحرير»، آنذاك، وكانوا يعملون - بحسب خطّة ياسر عرفات - لطمأنة اللوبي الإسرائيلي بأنّ قيادة المنظمة تقبل بوجود إسرائيل.

تغيّر وضع الصهيونيّة في العالم، منذ أوائل الثمانينيّات، عندما قدمتْ إلى هذا البلاد. كان تأييد إسرائيل هو الساري، وهو - وهذا الأهم - الـ«اكول»، أي الأكثر قبولاً من العناصر الشبابيّة ومن النخب الثقافيّة. كانت الليبراليّة لا تكتمل من دون إثبات معاداة الشيوعيّة ومناصرة الصهيونيّة، بلا حدود. وقيادة الحزب الديموقراطي اعتبرت أنّ مناصرة إسرائيل هي عنصر أساسي في تميّزها عن الحزب الجمهوري الذي كان، وفقاً لمصالح شركات النفط والسلاح والمستعبرين، أكثر جنوحاً ضدّ اللوبي الإسرائيلي. كان ذلك عندما كان لوبي أنظمة الخليج يتضارب مع لوبي إسرائيل، لأنّ الأخير كان يمنع التسلّح عن كلّ أنظمة الخليج (بالرغم من التحالف ضدّ عبد الناصر بينهما في الخمسينيّات والستينيّات). لكنّ اللوبي السعودي - الإماراتي تصالح، ثم تطابق، مع اللوبي الإسرائيلي.

1) نفور التحالف التقدّمي - الأقليّاتي الجديد من إسرائيل. كانت حركة الحقوق المدنيّة السوداء، والحركة النسويّة، وكلّ الحركات الليبراليّة، متعصبة في مناصرة إسرائيل حتى الألفية. مارتن لوثر كنغ كان شديد الارتباط بالمنظمات الصهيونيّة، وكان من مؤيّدي حرب فيتنام. أراد أن يقتني السياسة الخارجيّة للحزب الديموقراطي بحذافيرها. كانت هناك تيّارات أفريقيّة - أميركيّة معادية لإسرائيل، لكنّها كانت على الهامش. تمثّلت بـ«الفهود السود» وبعض الشخصيّات البارزة في حركة الحقوق المدنيّة، مثل مالكولم إكس وجوزيف لوري. وكان الأخير يذكّرنا دائماً بضرورة توطيد التحالف بين العرب والأفارقة - الأميركيّين، خصوصاً في الأماكن المختلطة بينهما، مثل شيكاغو وديترويت. وكان جيسي جاكسون من فريق مناصري «منظمة التحرير»، لكنّ الرجل كان عرضة للتنازلات والتسويات والصفقات التي تدرّ أرباحاً ماليّة عليه وعلى منظماته. هذا تغيّر في هذه الألفيّة. هناك حركات أفارقة - أميركيّين جدد، مثل «حياة السود ذات قيمة». الجيل الحراكي الجديد من السود يربط بين عنصريّة الصهيونيّة وبين عنصريّة البيض، وهو أكثر إدراكاً لتاريخ التحالف الوثيق بين ابرثايد إسرائيل وبين ابرثايد حكم الأقليّة البيضاء في جنوب أفريقيا (ليس هناك إدراك في الكتابات العربيّة لهذا التاريخ العريق من التحالف بين النظامَيْن التوأمَيْن، كما أنّ التعاون النووي والاستخباري كان أساسيّاً لكلا النظامَيْن العنصريَّيْن). حركة الحقوق السوداء الجديدة لم تعد مرتبطة بالمصالح المتنفّذة للحزب الديموقراطي، ولا حتى بالقادة الأفارقة - الأميركيّين في ذلك الحزب (وكان اللوبي الإسرائيلي شديد الحرص عليهم، وكانت «لجان العمل السياسي»، التي ترفد التبرّعات المنظمة للأشخاص والأحزاب، تنشط في دعم القادة السود في داخل الحزب الديموقراطي).

يحاول الصهاينة طبعاً التعامل مع ذلك، كالعادة، عبر رمي تُهم معاداة الساميّة. لكنّ الجيل الجديد من السود لا يكترث للمعايير الليبراليّة التي تُسكت الأصوات المجاهرة في نقد إسرائيل، بمجرّد إصدار نقد شديد ضدّ إسرائيل. هؤلاء مصمّمون على تغيير جذري في النظر إلى واقع أميركا، في الداخل والخارج، ولهذا هم يربطون المعركة ضدّ العنصريّة في الداخل بالمعركة العنصريّة للإمبراطورية الأميركيّة المترامية الأطراف. وهل هناك أكثر من التحالف بين النظام العنصري الأبيض هنا، وبين الصهيونيّة في إسرائيل، للتدليل على حقيقة الطبيعة التأسيسيّة للكيان الاحتلالي؟ (وكما يقول باتريك حدّاد، إنّ طبيعة الأبرثايد أو عدمه في إسرائيل، ليست موضوعنا الوحيد في رفض شرعيّة الكيان: إذ أنّ الكيان فاقد الشرعيّة بحكم احتلاليّته بصرف النظر عن الجور والظلم وعدم المساواة في الدولة).

الحركة النسائيّة التقليديّة في أميركا تجنّبت نقد إسرائيل، لا بل إنّ المؤسّسات، مثل بتي فريدان ومولي يارد والينور سميل أيّدت إسرائيل، واعتبرت أنّ ذلك ينسجم لأنّ إسرائيل كان يُنظر إليها على أنّها دولة عصريّة تحترم النساء (وكان لتبوؤ غولدا مئير منصب رئيسة الحكومة عاملاً مساعداً، كأنّ وصول أيّ امرأة إلى منصب هو إنجاز نسوي. كانت مئير، مثل مارغريت تاتشر، أو انجيلا ميركل، معادية للنسويّة). ونظرت هؤلاء النسوة إلى العرب من منظور استشراقي عنصري رجعي، ولم تلتفتن إلى اليسار الفلسطيني الذي كان يرفع شعار المساواة بين المرأة والرجل (طبعاً، كان هناك تفاوت بين الشعارات وبين الواقع على الأرض، فلا الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين، ولا الجبهة الديموقراطيّة لديهما سجلّ مُشرّف في ذلك - وقد اعترف العظيم جورج حبش بذلك أمامي، بعد تقاعده). أمّا الجيل النسوي الجديد فهو يربط النضال ضدّ النظام البطريركي بالنضال ضدّ الإمبريالية العالميّة الثانية، وأنّها ستكون مركز المآزق الكبير، بدلاً من أوروبا (مثلما أنّ الحاج أمين الحسيني عوّل على فوز هتلر وعقد تحالفاً معه، مع أنّ دوره لم يكن ذا اعتبار في الحكم النازي، كما أنّ وصم دوره لم يكن ليتأثّر لو أنه مثلاً عقد تحالفاً مع بلجيكا). وحرصت القيادة الإسرائيليّة، عبر السنوات، على عدم المَيْل بين حزب وآخر هنا، كي يكون دعم إسرائيل «مزدوجاً» بين الحزبين، بحسب الوصف السياسي الأميركي. وتنتباهو، الذي غالباً ما يشير إلى خبرته ومعرفته بأميركا، لم يدرك الضرر الذي سيلحقه بـ«ماركة» إسرائيل، خصوصاً في عام 2015، عندما خاطب الكونغرس الأميركي من فوق رأس أوباما، وضدّ سياساته في الاتفاق النووي. ترتبط «ماركة» إسرائيل، اليوم، بأشخاص وأفكار غير محدّدة عند الشباب: من اليمين العنصري إلى دونالد ترامب، إلى نتنياهو ومعارضته لأوباما، الذي يحظى بشعبيّة شبابيّة.

لكنّ ابتعاد الجيل الديموقراطي الجديد عن إسرائيل لم ينعكس على توجّهات قيادة الحزب الديموقراطي (قاعدة «حزب العمّال» في بريطانيا وقاعدة الحزب الاشتراكي في فرنسا معادية لإسرائيل، لكنّ قيادة الحزبَيْن لا تزال متعصّبة صهيونيّاً، وآراؤها ما حلّ بجريمي كوربن تعادل حاول أن يزيح سياسة «حزب العمّال» بعيداً عن الصهيونيّة). لكن ما جرى في أثناء نظر الحزب على غزّة كان مذهلاً بكل المقاييس. خفتت أصوات مناصرة إسرائيل في قيادة الحزب الديموقراطي. لم يتغيّر موقف (فقط 40% من الشباب اليهودي في مدينة سان فرنسيسكو يقبل فكرة الدولة اليهوديّة، بحسب دراسة مستفيضة لستيفن إم. كوهين). وإذا كان الشباب الليبرالي الأميركي بات منقسماً بشأن تأييد إسرائيل مقابل تأييد فلسطين (كانت نسبة التأييد، في أوائل الثمانينيات، نحو 10% فقط لصالح فلسطين)، فإنّ هذا الانقسام بات يؤثّر على الجيل اليهودي الجديد، خصوصاً أنّ اليهود هم أنزع نحو الليبراليّة من غيرهم من الفئات الدينيّة. والمحرقة لم تعد تؤثّر في آراء الشباب اليهودي الجديد، كما كانت تؤثّر في أجيال آبائهم وأجدادهم. وهذه التغيّرات لا بدّ أن تُقلق صانعي القرار في إسرائيل.

2) لم تعد «ماركة» إسرائيل عابرة للحزبَيْن. قد يكون أكبر خطأ ارتكبه نتنياهو في تاريخ علاقته مع أميركا، هو ربط الماركة المسجّلة لإسرائيل بحزب واحد، وبعقيدة يمينيّة واحدة هنا. كان ديفيد بن غوريون أوّل من نقل عمل الحركة الصهيونيّة من أوروبا نحو أميركا في مؤتمر «بلتمور» (الفندق لم يعد موجوداً) في عام 1942. قرّر بن غوريون أنّ أميركا ستكون منتصرة في الحرب العالميّة الثانية، وأنّها ستكون مركز القوّة الكبير، بدلاً من أوروبا (مثلما أنّ الحاج أمين الحسيني عوّل على فوز هتلر وعقد تحالفاً معه، مع أنّ دوره لم يكن ذا اعتبار في الحكم النازي، كما أنّ وصم دوره لم يكن ليتأثّر لو أنه مثلاً عقد تحالفاً مع بلجيكا). وحرصت القيادة الإسرائيليّة، عبر السنوات، على عدم المَيْل بين حزب وآخر هنا، كي يكون دعم إسرائيل «مزدوجاً» بين الحزبين، بحسب الوصف السياسي الأميركي. ونتنياهو، الذي غالباً ما يشير إلى خبرته ومعرفته بأميركا، لم يدرك الضرر الذي سيلحقه بـ«ماركة» إسرائيل، خصوصاً في عام 2015، عندما خاطب الكونغرس الأميركي من فوق رأس أوباما، وضدّ سياساته في الاتفاق النووي. ترتبط «ماركة» إسرائيل، اليوم، بأشخاص وأفكار غير محدّدة عند الشباب: من اليمين العنصري إلى دونالد ترامب، إلى نتنياهو ومعارضته لأوباما، الذي يحظى بشعبيّة شبابيّة.

لكنّ ابتعاد الجيل الديموقراطي الجديد عن إسرائيل لم ينعكس على توجّهات قيادة الحزب الديموقراطي (قاعدة «حزب العمّال» في بريطانيا وقاعدة الحزب الاشتراكي في فرنسا معادية لإسرائيل، لكنّ قيادة الحزبَيْن لا تزال متعصّبة صهيونيّاً، وآراؤها ما حلّ بجريمي كوربن تعادل حاول أن يزيح سياسة «حزب العمّال» بعيداً عن الصهيونيّة). لكن ما جرى في أثناء نظر الحزب على غزّة كان مذهلاً بكل المقاييس. خفتت أصوات مناصرة إسرائيل في قيادة الحزب الديموقراطي. لم يتغيّر موقف جو بادين، الذي اعتبر قتل الأطفال في غزّة من ضمن نطاق «الدفاع عن النفس» الذي لا حدود له. وهذا التعبير ليس إلّا رخصة قتل وجرائم حرب تمنحها الإدارات الأميركيّة المتعاقبة لدولة الاحتلال. لكن أن تصدر بيانات (وفي ظلّ إدارة ديموقراطيّة تناصر العدوان الإسرائيلي) من قبل قادة الكونغرس الأميركي، وهي - بالرغم من تأييدها لإسرائيل - تتحدّث عن الضحايا المدنيّين الفلسطينيّين، أو أن تساوي بين الضحايا في الجهتَيْن، فإنّ في هذا سابقة لم تعهدها في تاريخ إقامتي هنا. حتى رئيس الأغلبية في مجلس الشيوخ، تشاك شومر، الذي تدرّبت على كرهه عندما كان شاباً في الكونغرس الأميركي، في أوائل الثمانينيات، صمتَ عن تأييد عدوان إسرائيل. هذا برأيي كان أبلغ تعبير لي عن تغيّر القاعدة الشعبيّة للحزب الديموقراطي وتأقلُم القيادات التقليديّة للحزب مع الواقع الديموقراطي الجديد. ورئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، بوب مينينديز (عضو عن ولاية نيوجرسي، ذات الثقل اليهودي الثقيل) أصدر بياناً عبّر فيه عن قلقه من عدد الضحايا الفلسطينيّين وقصف المراكز إعلاميّة في غزّة. لم أكن أتوقّع، ولم تكن دولة العدوّ تتوقّع، أن تصدر إدانات - وإن باهتة - من هذا النوع من شخص صهيوني متعصّب، مثل شومر أو مثل النائب جيرالد نادلر (والاثنان يمثّلان دوائر نيويوركيّة ذات الثقل اليهودي الأكبر). شيء ما يتغيّر، وهو في غير صالح إسرائيل. وحتى في صفّ قاعدة اليمين الصهيوني الجمهوري، أي «الإيفانجليّون» المسيحيّون، فإنّ استطلاعاً للرأي أجراه شبلي تلحمي قبل أيّام، أظهر انخفاضاً كبيراً في نسب التأييد لإسرائيل في صفّ الشباب منهم: فقد نقصت النسبة من 75% إلى 34% فقط. وكل دعم ترامب لإسرائيل كان لمحاباة الهيكل والمحاباة اليهود الذي اقترعوا هم أكثريّته ضدّه.

3) معركة الإعلام الجديد. كانت حظوة إسرائيل تقليديّاً تكمن في السيطرة الحديديّة على الإعلام التقليدي. كان يكفي التواصل المستمر بين المؤسّسات الصهيونيّة وبين قادة شركات الأخبار الثلاث أو الأربع (في ما بعد) كي يتمّ نفي وجهة النظر العربيّة. قلّة فقط في الإعلام التقليدي حاربت سطوة الصهيونيّة في الإعلام (أشخاص من اليسار، مثل بيتر جننغز وتشارلز غلاس وآي. إف. ستون، وأشخاص من اليمين مثل بوب نوفاك ورونالد ايفنزر). حرصت الحركة الصهيونيّة بصرامة على أن تكون وجهة نظر الحزب على غزّة كان مذهلاً بكل المقاييس. خفتت أصوات مناصرة إسرائيل في قيادة الحزب الديموقراطي. لم يتغيّر موقف جو بادين، الذي اعتبر قتل الأطفال في غزّة من ضمن نطاق «الدفاع عن النفس» الذي لا حدود له. وهذا التعبير ليس إلّا رخصة قتل وجرائم حرب تمنحها الإدارات الأميركيّة المتعاقبة لدولة الاحتلال. لكن أن تصدر بيانات (وفي ظلّ إدارة ديموقراطيّة تناصر العدوان الإسرائيلي) من قبل قادة الكونغرس الأميركي، وهي - بالرغم من تأييدها لإسرائيل - تتحدّث عن الضحايا المدنيّين الفلسطينيّين، أو أن تساوي بين الضحايا في الجهتَيْن، فإنّ في هذا سابقة لم تعهدها في تاريخ إقامتي هنا. حتى رئيس الأغلبية في مجلس الشيوخ، تشاك شومر، الذي تدرّبت على كرهه عندما كان شاباً في الكونغرس الأميركي، في أوائل الثمانينيات، صمتَ عن تأييد عدوان إسرائيل. هذا برأيي كان أبلغ تعبير لي عن تغيّر القاعدة الشعبيّة للحزب الديموقراطي وتأقلُم القيادات التقليديّة للحزب مع الواقع الديموقراطي الجديد. ورئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، بوب مينينديز (عضو عن ولاية نيوجرسي، ذات الثقل اليهودي الثقيل) أصدر بياناً عبّر فيه عن قلقه من عدد الضحايا الفلسطينيّين وقصف المراكز إعلاميّة في غزّة. لم أكن أتوقّع، ولم تكن دولة العدوّ تتوقّع، أن تصدر إدانات - وإن باهتة - من هذا النوع من شخص صهيوني متعصّب، مثل شومر أو مثل النائب جيرالد نادلر (والاثنان يمثّلان دوائر نيويوركيّة ذات الثقل اليهودي الأكبر). شيء ما يتغيّر، وهو في غير صالح إسرائيل. وحتى في صفّ قاعدة اليمين الصهيوني الجمهوري، أي «الإيفانجليّون» المسيحيّون، فإنّ استطلاعاً للرأي أجراه شبلي تلحمي قبل أيّام، أظهر انخفاضاً كبيراً في نسب التأييد لإسرائيل في صفّ الشباب منهم: فقد نقصت النسبة من 75% إلى 34% فقط. وكل دعم ترامب لإسرائيل كان لمحاباة الهيكل والمحاباة اليهود الذي اقترعوا هم أكثريّته ضدّه.

4) معركة الإعلام الجديد. كانت حظوة إسرائيل تقليديّاً تكمن في السيطرة الحديديّة على الإعلام التقليدي. كان يكفي التواصل المستمر بين المؤسّسات الصهيونيّة وبين قادة شركات الأخبار الثلاث أو الأربع (في ما بعد) كي يتمّ نفي وجهة النظر العربيّة. قلّة فقط في الإعلام التقليدي حاربت سطوة الصهيونيّة في الإعلام (أشخاص من اليسار، مثل بيتر جننغز وتشارلز غلاس وآي. إف. ستون، وأشخاص من اليمين مثل بوب نوفاك ورونالد ايفنزر). حرصت الحركة الصهيونيّة بصرامة على أن تكون وجهة نظر الحزب على غزّة كان مذهلاً بكل المقاييس. خفتت أصوات مناصرة إسرائيل في قيادة الحزب الديموقراطي. لم يتغيّر موقف جو بادين، الذي اعتبر قتل الأطفال في غزّة من ضمن نطاق «الدفاع عن النفس» الذي لا حدود له. وهذا التعبير ليس إلّا رخصة قتل وجرائم حرب تمنحها الإدارات الأميركيّة المتعاقبة لدولة الاحتلال. لكن أن تصدر بيانات (وفي ظلّ إدارة ديموقراطيّة تناصر العدوان الإسرائيلي) من قبل قادة الكونغرس الأميركي، وهي - بالرغم من تأييدها لإسرائيل - تتحدّث عن الضحايا المدنيّين الفلسطينيّين، أو أن تساوي بين الضحايا في الجهتَيْن، فإنّ في هذا سابقة لم تعهدها في تاريخ إقامتي هنا. حتى رئيس الأغلبية في مجلس الشيوخ، تشاك شومر، الذي تدرّبت على كرهه عندما كان شاباً في الكونغرس الأميركي، في أوائل الثمانينيات، صمتَ عن تأييد عدوان إسرائيل. هذا برأيي كان أبلغ تعبير لي عن تغيّر القاعدة الشعبيّة للحزب الديموقراطي وتأقلُم القيادات التقليديّة للحزب مع الواقع الديموقراطي الجديد. ورئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، بوب مينينديز (عضو عن ولاية نيوجرسي، ذات الثقل اليهودي الثقيل) أصدر بياناً عبّر فيه عن قلقه من عدد الضحايا الفلسطينيّين وقصف المراكز إعلاميّة في غزّة. لم أكن أتوقّع، ولم تكن دولة العدوّ تتوقّع، أن تصدر إدانات - وإن باهتة - من هذا النوع من شخص صهيوني متعصّب، مثل شومر أو مثل النائب جيرالد نادلر (والاثنان يمثّلان دوائر نيويوركيّة ذات الثقل اليهودي الأكبر). شيء ما يتغيّر، وهو في غير صالح إسرائيل. وحتى في صفّ قاعدة اليمين الصهيوني الجمهوري، أي «الإيفانجليّون» المسيحيّون، فإنّ استطلاعاً للرأي أجراه شبلي تلحمي قبل أيّام، أظهر انخفاضاً كبيراً في نسب التأييد لإسرائيل في صفّ الشباب منهم: فقد نقصت النسبة من 75% إلى 34% فقط. وكل دعم ترامب لإسرائيل كان لمحاباة الهيكل والمحاباة اليهود الذي اقترعوا هم أكثريّته ضدّه.

> **الساحة الأميركيّة تتغيّر، وإن ببطء وتعلم الحركة الصهيونيّة أنّ الرباط الأميركي بها ليس أبدياً**

(أ ف ب)

المناصرة الفلسطينيّة وبين النازية حيناً والإرهاب حيناً والشيوعيّة العالميّة حيناً آخر). في الانتفاضة الفلسطينيّة الأولى، عقد هنري كيسنجر اجتماعاً مع قادة الحركة الصهيونيّة ومسؤولين إسرائيليّين ونصحهم (في حديث تسرّب) بقمع الانتفاضة الشعب الفلسطيني وإبعاد الإعلام. كلّ هذا تغيّر مع الإعلام الجديد.

خسر العدو المعركة على وسائل التواصل. استطاع العرب وأنصارهم بمراعاة على العالم أن يحكموا السيطرة ببراعة على السرديّة عن الحرب الإسرائيليّة على غزّة والقدس. استفاق اللوبي الصهيوني على حقيقة بروز إعلام جديد لا يخضع لمعايير وتأثير الصهيونيّة كما الإعلام التقليدي. يدرك الصهاينة ذلك، وتقوم منظمة «أي. دي. إل» الصهيونيّة النافذة بالتنسيق المستمر مع شركات التواصل الاجتماعي، خصوصاً «فايسبوك» (التي طُردتْ منها شرّ طردة أخيراً) وذلك لفرض معايير صهيونيّة للخطاب والسجال، وحتى للأسماء والمصطلحات والصور. لكنّ هذه التدابير القمعيّة من قبل «فايسبوك» باتت مفضوحة، وهي تلقى الاستنكار من الجيل الشبابي. والجيل الجديد لا يتابع الإعلام التقليدي (من صحف أو من شاشات) وهو يلاحق الأخبار عبر مواقع التواصل. استطاع جيل مواقع التواصل أن ينشر ويوثّق جرائم إسرائيل. هذه المشاهد كانت ممنوعة في تاريخ الصراع عن الشاشات الغربيّة. وكان النفوذ الصهيوني يمنع وصول هذه المشاهد، حتى إلى شاشات دول العالم النامي. الرقيب العسكري الصهيوني كان يقرّر ما يجوز وما لا يجوز نشره، ليس فقط في إعلام العدوّ بل في إعلام العالم كلّه. الهواتف الذكيّة وسيلة لا يمكن الرجوع إلى ما سبقها. وهناك تقارير إسرائيلية (مثل «معهد الأمن القومي الإسرائيلي») تتحدّث، قبل أيّام، عن قرار إسرائيلي بمنع وسائل الإعلام في الحرب المقبلة. لن يؤثّر ذلك على التغطية أبداً. إنّ معظم المشاهد للوحشية الإسرائيليّة كانت مستقاة من هواتف ذكية في أيدي الفلسطينيّين. إنّ فكرة الإعلام الصادرة عن مركز أبحاث إسرائيلي تدلّ على الارتباك، لا بل التخلّف، الذي أصاب التفكير الصهيوني بورطة سقوط إسرائيل الذريع في إعلام العالم. كان يمكن لمنظمة صهيونية أن ترسل في الماضي وفداً رفيع المستوى للقاء ناشر «نيويورك تايمز»، أو رئيس شركة «سي بي إس»، كي تضمن منع تصوير وجهة نصر معادية لإسرائيل في الجريدة أو الشبكة. ماذا يمكن أن تفعله المنظّمات الصهيونيّة بهواتف الفلسطينيّين؟ تستطيع أن تدمّر شبكات الهواتف، لكنّ الصور والعذابات والوحشيّة ستكون موثّقة، لا محالة.

خسارة الإعلام هي الأكثر ضرراً على المصالح الصهيونيّة، لأنّ ذلك يؤسّس ويربّي جيلاً جديداً، هنا وحول العالم. وحشيّة الحرب الإسرائيلية على غزّة ستترسّخ في أذهان أجيال جديدة، بيضاء وسوداء وسمراء. هي ستمنع قدرة الحركة الصهيونيّة على تغيير أنماط التفكير بشأن الشرق الأوسط. وليس هناك من أثر لفوز الإعلام في المعركة الأخيرة أكثر من الحيرة التي أصابت إعلام الصهيونيّة العربيّة: حاول الإعلام العربي التطبيعي أن يتجاهل الوحشيّة الإسرائيلية، وأن يُعيّن إسرائيل في حملاتها الدعائيّة (جريدة «عكاظ» صدرت قبل يومين، بصفحة أولى تتضمّن إدانات صارخة لكلّ حركات المقاومة في غزّة. واستطاع وزير الخارجيّة السعودي، فيصل بن فرحان، أن يُلقي خطبة عن الحرب في غزّة أمام الجمعية العامّة للأمم المتحدة، من دون أن يذكر كلمة غزّة. كما أنّ موقع «ميغافون» اللبناني، اللصيق بأجندة فارس سعيد، استطاع أن يتحدّث يومياً عن فلسطين لكن حصراً عن الشيخ جراح، لأنّ الحديث عن غزة لا يمكن أن يتجاهل مقاومة أهل غزة، والمقاومات ضد إسرائيل تتناقض، ليس فقط مع أجندات هذه المواقع، بل مع أجندات المموّل الغربي «المستقل». وما هذه البدعة الجديدة بأنّ المواقع الإعلاميّة العربيّة التي تتلقّى التمويل من الدول الغربيّة، أو من الرجعي الصهيوني جورج سوروس، تصف نفسها بأنّها مستقلّة؟).

4) خسارة وهج الجيش الذي لا يُقهر. كان هناك للعدوّ وجيشه بريق خاص بعد حرب عام 1967. استثمرت الدعاية الصهيونيّة كثيراً في نشر المبالغات عن حرب عام 1967، والتي كانت بحق هزيمة شنيعة لنا. لكنّ نتائج الحرب كانت معروفة سلفاً (كلّ تقارير الحكومة الأميركيّة التي أشار إليها ويليام كونت في كتابه، «مسيرة السلام»، تحدّثت عن يقين أميركي في إدارة جونسون بنصر كاسح لإسرائيل في الحرب المقبلة). لكنّ العدوّ قلّل من قدراته العسكريّة الذاتيّة وبالغ أيّما مبالغة في قدرات خصومه العسكريّة وذلك بغرضَيْن: 1) تعبئة شعبه وإيهامه بأنّ المعركة ستقرّر وجود أو غياب الكيان، فيما لم يكن هناك - للأسف - أيّ تهديد للكيان بحكم ضعف الجيوش العربيّة وعدم أهليّة المشير، القائد الأعلى. وبالفعل، حارب جيش الاحتلال على أساس فرضيّة أنّ نتيجة الحرب ستقرّر مصيرنا على هذه الأرض. 2) أراد العدوّ أن يجعل من نصره أمراً غير متوقّع، إنّه أراد قطف ثمار وهج النصر الساحق. كانت الفكرة (الخاطئة) أنّ إسرائيل الضعيفة والوديعة هي التي انتصرت على «جيوش» عربيّة مجتمعة ضدّها. وهذه البروباغندا هي عينها عن حرب 1967: فالسرديّة عنها في الغرب تفيد بأنّ سبعة «جيوش عربيّة» هاجمت العصابات الصهيونيّة، لكنّ الأخيرة هزمتها (مع أنّ عدد المقاتلين كان أكبر بكثير لصالح العدوّ، ويكفي أن نذكّر بأنّ جيش لبنان المسرحي، كان واحداً من هذه الجيوش، وكان متأمراً ضدّ الجيوش العربيّة، التي لم تكن هي بدورها جادّة في الحرب من أجل فلسطين). الوهج العسكري الإسرائيلي كان ينال الإعجاب، لكنّه يُهمل مؤخّراً، وباستمرار، على يد متطوّعين أشدّاء في لبنان وغزة.

الساحة الأميركيّة تتغيّر، وإن ببطء. وتعلم الحركة الصهيونيّة أنّ الرباط الأميركي بها ليس أبدياً. والبلاد تخسر النفوذ التقليدي للرجال البيض، كما أنّ «ماركة» إسرائيل صارت خارج الموضة. كان أبرز نجوم هوليوود، في الخمسينيّات والستينيّات، يروّجون لإسرائيل، أمّا اليوم فإنّك لا تجد إلّا الكبار في السن من نجوم أفلام العنف، وهم يؤيّدون إسرائيل وجيشها. الجناح التقدّمي الجديد في الحزب الديموقراطي، لا يخشى اللوبي الإسرائيلي وهو يصطدم به باستمرار. والتحالف الذي دعّمه نتنياهو، في بداية عمله السياسي، مع الحكومة الأميركيّة على أساس محاربة الإرهاب بنهار تحت وطأة وحشيّة إسرائيليّة يراها جيل غربي جديد على أنّه الإرهاب بعينه. التغيير ضدّ إسرائيل آتٍ لا محالة، لكنّ ذلك سيتقرّر في الميدان، وليس في مواقع التواصل أو في الكونغرس.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

في عيد المقاومة والتحرير... فلسطين تنتصر

حنا غريب *

يتزامن عيد المقاومة والتحرير في لبنان، هذا العام، مع انتفاضة الشعب الفلسطيني ومقاومته البطلة ضدّ الاحتلال الصهيوني. وتشكّل هاتان المناسبتان محطّة مضيئة في مسيرة الكفاح والنضال، من أجل التحرّر الوطني والاجتماعي لشعوبنا العربية، فيها ومن خلالها، توحّدت دماء الشهداء، منذ ثلاثينيات القرن الماضي، في وحدة المصير والمواجهة. فكلّ التحية إلى شهداء هذه المسيرة التي دفع فيها حزبنا ضريبة الدم والتضحيات منذ تأسيسه للحرس الشعبي، وقوات الأنصار، وجبهة المقاومة الوطنية اللبنانية «جمّول»، مروراً بمقاومته لكلّ مشاريع التقسيم والفدرلة. والعهد لكلّ الشهداء على متابعة هذه المسيرة على درب التحرير والتغيير الديموقراطي، درب الخلاص من المنظومة الحاكمة ونظامها السياسي الطائفي، المولّد للأزمات بتبعيته واستغلاله الطبقي، درب تحرير مزارع شبعا وتلال كفرشوبا والجزء الشرقي من بلدة الغجر، ومنع التوطين وحماية الثروة النفطية، وعدم ترك الشعب الفلسطيني وحيداً في هذه المعركة، وتقديم كلّ الدعم والإمكانيات لمقاومته المنتصرة.

نعم لقد انتصرت فلسطين بانتفاضة شعبها ومقاومته البطلة التي سطّرت على مدار أحد عشر يوماً صفحة مجيدة من تاريخها المقاوم ضدّ العدو الصهيوني، وآلة حربه الإجرامية، بحيث حوّل الشعب الفلسطيني الذكرى الثالثة والسبعين للنكبة إلى نكبة للكيان العنصري الغاشم. لقد كان الثمن باهظاً دماً وشهادةً ودماراً، إنّما «يقدر هذا الحزن الكبير على فقدان المقاومين الأبطال والأطفال والأهل الذين استشهدوا، يقدر ما ستكون فرحة الانتصار النهائي لشعبنا كبيرة»، قالها أحد الرفاق المقاومين في كتائب الشهيد أبو علي مصطفى.

إنّه انتصار للروح الوطنية الفلسطينية، التي تجسّدت بالقرار الموحّد بإطلاق الانتفاضة والمقاومة بكلّ الأشكال السياسية والعسكرية والشعبية والإعلامية، ومن كلّ القوى والفصائل الفلسطينية استجابة لأهالي حي الشيخ جراح والقدس، وهو القرار الذي أعاد الاعتبار لمقاومة الاحتلال في هذه الحرب المفتوحة على كامل أرض فلسطين التاريخية.

إنّه انتصار للوعي الجمعي على صفقة القرن وأوسلو وكلّ مفاعيل التسويات والانقسامات والتنسيق الأمني مع الاحتلال، وعلى استحالة «التعايش» معه، وهو ما أكّدته انتفاضة فلسطينيي عام 1948. كما هو انتصار على مستوى الإقليم ضدّ أنظمة التطبيع العربية وخيانة حكّامها الشركاء، في هذا العدوان، حيث تظاهرت شعوبنا العربية تضامناً مع الشعب الفلسطيني ومقاومته، فأسقطت كلّ اتفاقيات التطبيع مع العدو الصهيوني، وأدانت الصمت المخزي لحكّام التطبيع تجاه جرائم العدو وقتله للأطفال الأبرياء والنساء والمدنيين العُزّل.

وفوق ذلك، هناك إنجازات مهمّة تحقّقت أيضاً، حيث تمكّنت الانتفاضة الفلسطينية ومقاومتها، من كسب تأييد الرأي العام العالمي، على رغم تضييق وانحياز بعض وسائل التواصل الاجتماعي ضد الانتفاضة والقوى المؤيّدة لمقاومتها، ولا سيما «فايسبوك» الذي أغلق العديد من الصفحات للقوى المؤيّدة للقضية الفلسطينية.

لقد نجحت الانتفاضة في كشف طبيعة الكيان الصهيوني على حقيقته أمام الرأي العام العالمي، بصفته كيان احتلال وفصل عنصري، مع رؤيته لجرائمه بالصوت والصورة والمقاطع الإخبارية لمشاهد القصف وأعمال الإبادة الجماعية وتدمير الأبراج والبيوت السكنية على رؤوس المدنيين العُزّل وقتل المتظاهرين في الضفة والقدس وفي سائر المدن المنتفضة. لقد رأى بأمّ العين عمليات انتشال جثامين الشهداء والأطفال من بين الأنقاض، واستهداف العدو للبنية التحتية في غزّة وضربه لمراكز المؤسّسات الإعلامية لإقفالها ومنعها من نقل الصورة الحقيقية إلى شعوب العالم عمّا يرتكبه من جرائم.

إنجازات عسكرية وميدانية تحقّقت أيضاً، في مقدّمها زيادة القدرات العسكرية للمقاومة الت

فلسطين تحطم الأسوار

في إطار سعيها إلى الاستثمار في نتائج معركة «سيف القدس»، والتي يبرز من بين أهمّها تراجع مكانة السلطة الفلسطينية وتهشّم صورتها لدى الجمهور، تعمل فصائل المقاومة على الإفادة من ذلك، في إعادة ترتيب البيت الداخلي على أساس إنهاء برنامج المفاوضات وتصدير برنامج الكفاح المسلّح. وفي هذا الإطار تُكثّف الفصائل لقاءاتها إلى إنهاء تفرّد محمود عباس بالقرار الرسمي الفلسطيني، متجاهلةً دعوة الأخير إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية، على اعتبار أنها لا تُلبّي تطلّعات من خرج منتصراً من معركة طاحنة مع العدو. في هذا الوقت، تتواصل الجهود المصرية لبدء مفاوضات غير مباشرة بين المقاومة والاحتلال، تستهدف تثبيت وقف إطلاق النار، توازيا مع تجدّد تحذيرات الفصائل للعدو من التلاعب بملفّ إعادة الإعمار

«معركة» عزل السلطة تنطلق: «الممثل الشرعي الوحيد»... مقاومة

غزة - **رجب المدهون**

بعد أسابيع من الإحباط الذي ساد أوساط الفلسطينيين وفصائلهم، إثر تأجيل رئيس السلطة، محمود عباس، الانتخابات، بذريعة رفض الاحتلال إقامتها في مدينة القدس، تسعى العديد من الفصائل إلى إرساء اليات جديدة لإعادة ترتيب

> **تجاهلت الفصائل دعوة محمود عباس إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية**

البيت الداخلي، وذلك استثماراً لنتائج معركة «سيف القدس»، التي كان التنسيق الفصائلي فيها في أعلى مستوياته وأفضلها، منذ ما قبل المعركة، بدا واضحاً أن التنسيق بين الفصائل في قطاع غزة كان عالياً جداً، في ظلّ عدّة جلسات ولقاءات عقدتها لتباحث قضية القدس، مؤكدة وقوفها خلف التهديد الذي أطلقه رئيس أركان «كتائب القسام»، الجناح العسكري لحركة «حماس»، محمد الضيف، واستعدادها لخوض المعركة موحّدة بكلّ قوة. إلّا أن تجليات التنسيق في ما بين الفصائل خلال المعركة على المستوى السياسي، بجوار توحّدها في خطواتها العسكرية عبر «غرفة عمليات المقاومة المشتركة»، وتحقيقها سويّة انتصاراً في المواجهة، وخفوت موقف السلطة الذي بدا ضعيفاً ودون المستوى، كل ذلك دفع الفصائل جميعها إلى تعزيز خطابها بصوابية برنامج المقاومة الفلسطينية، وانتهاء برنامج المفاوضات، والمطالبة بإعادة ترتيب البيت الفلسطيني في أسرع وقت، ومواجهة تفرّد عباس وجزء من حركة «فتح» بالقرار الفلسطيني.

وحسبما علمت «الأخبار»، فقد عقدت الفصائل في غزة، قبيل المعركة الأخيرة، اجتماعات مع قيادة «حماس»، لتباحث الأحداث في القدس والخيارات المتاحة أمامها، مؤيّدة الذهاب نحو مواجهة مع الاحتلال في حال استمرّت ممارساته في المدينة المحتلة. وبعد انتهاء المعركة، عقدت لقاءً آخر اتفقت خلاله على ضرورة الضغط على عباس لترتيب البيت الفلسطيني، وإنهاء حالة التفرّد، لتحقيق أكبر مكتسب لمصلحة القضية الفلسطينية بعد الانتصار، ووقف عبث المفاوضات، فيما اقترحت بعض الفصائل، في حال رفض عباس الاتفاق، إعلان فقدانه للشرعية، وأنه مغتصب لقيادة الشعب الفلسطيني، والعمل على تشكيل إطار يجمع جميع فصائل المقاومة، باعتبار المقاومة المُمثّل الوحيد للشعب الفلسطيني في كلّ مكان. وفي الوقت الذي دعا فيه عباس إلى تشكيل حكومة وحدة فلسطينية بعد الحرب، تلتزم بالاتفاقيات مع الاحتلال وبشروط «الرباعية الدولية»، تجاهلت الفصائل هذه الدعوة على اعتبار أنها لا تُلبّي تطلّعات الشعب الفلسطيني الذي يعيش حالة انتصار على العدو.

في المقابل، أكد رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، إسماعيل هنية، أن حركته جاهزة للذهاب إلى أبعد مدى في ترتيب البيت الفلسطيني، داعياً إلى البدء في إعادة هيكلة «منظّمة التحرير الفلسطينية»، وإدخال الشعب الفلسطيني في الشتات في معادلة المؤسّسة والقرار عبر الانتخابات، وبناء رؤية فلسطينية على قاعدة الشراكة. وشدّد هنية على أن معركة «سيف القدس» أنهت مرحلة وفتحت مرحلة جديدة، لافتاً إلى أن الجماهير وقفت في كلّ مكان خلف المقاومة. واعتبر عضو المكتب السياسي لحركة «الجهاد الإسلامي»، خالد البطش، بدوره، أن «معركة سيف القدس كانت نقطة تحوّل استراتيجي أسّست لانتصار كبير على أساس أن الفلسطيني يمكن أن ينتصر على المحتل، وعليه يجب استعادة الوحدة الوطنية، وتحقيق الشراكة ضرورة مُلحّة لاستثمار نصر معركة سيف القدس». ورأت «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، من جهتها، أن «معركة سيف القدس أعادت التأكيد على وحدة الشعب الفلسطيني، وهو أوّل معطى يجب أن نبني عليه قاعدة وحدتنا الوطنية والاجتماعية المتينة، من بوّابة استعادة مشروعنا الوطني التحرّري، وأداته الوطنية الجامعة؛ منظّمة التحرير الفلسطينية التي يجب تحريرها من قيود نهج التسوية والمفاوضات والاتفاقيات الكارثية مع العدو، والتي طوتها مقاومة شعبنا وانتصاره المؤزّر». ودعت الجبهة، القيادة الفلسطينية الرسمية «المهيمنة»، إلى «عدم تبديد إنجازات ومكتسبات شعبنا، من خلال العودة إلى المفاوضات التي يتزايد الحديث بشأنها، وعدم المساهمة في نقل التناقض إلى الداخل الفلسطيني».

أكدت «حماس» جاهزيتها للذهاب إلى أبعد مدى في ترتيب البيت الفلسطيني (أ ف ب)

مصانع غزة هدفاً أول: العدو يدمّر عجلة الإنتاج

غزة - **يوسف فارس**

لم يجد جمال الخضري، صاحب شركة «فومكو» للإسفنج، ما يمكن الانتفاع به من مصنعه المدمَّر. فالقذائف الإسرائيلية أتت على 80% من خطوط إنتاج المصنع ومخازنه، ونقلت صاحبه، وعشرات العاملين لديه، من صفوف العاملين إلى صفوف العاطلين من العمل. المصنع المُقام على طريق صلاح الدين شمال غزة، يُعدُّ واحداً من 50 منشأة صناعية توفّر الوظائف لآلاف العمّال، كانت إسرائيل قد شرعت في تدميرها منذ اليوم الثالث من الحرب.

يقول محمد حمد، وهو مدير مركز الدفاع المدني الذي تعاملت وحداته مع حرائق المصانع التي استمرّت لأيّام، إن الطائرات الحربية الإسرائيلية تعمّدت استهداف هذه المنشآت بقذائف الفوسفور الأبيض، ما زاد من حدّة اشتعال النيران وتمدُّدها. ويفسّر رجل الدفاع المدني بأن هدف الاحتلال من قصف المصانع، كان لصفتها الاقتصادية وما تمثّله من رافد مهمّ للاقتصاد المحلي. يكمل حمد: «لا يمكن لإسرائيل أن تزعم بأن الوحدات الاقتصادية المستهدَفة، كانت تحوي أنشطة للمقاومة، حيث الصواريخ المستخدَمة هدفها الحرق والتخريب، وهي ليست ذات صفة اختراقية واهتزازية كالتي تزعم إسرائيل حين تستخدمها، بأنها تهدف للوصول بها إلى ما تحت الأرض وليس ما عليها».

وعلى الرغم من عدد المصانع المحدود الذي طاوله القصف الإسرائيلي خلال 11 يوماً من العدوان، إلّا أن حجم الخسائر الاقتصادية يفوق ما تسبَّبت به 51 يوماً من الحرب عام 2014.

يقول الخبير الاقتصادي، محمد أبو جياب: «الاستهداف جاء على نحوٍ كلّي ومباشر للمنشآت المستهدفة؛ بمعنى أن القصف لم يتسبَّب بتدمير جزئي لبعض المصانع، بل دمَّر المخازن وخطوط الإنتاج على نحوٍ كامل».

حدود الاستهداف الإسرائيلي للمصانع المنتِجة والتي توفّر مصدر دخل لمئات الأسر، لم تنحصر بالمصانع المُقامة في المناطق القريبة من السكان، بل طاول القصف الإسرائيلي 15 منشأة اقتصادية مهمّة، في داخل المنطقة الصناعية الملاصقة للسياج الحدودي، والتي تمتلك صفة أمنية خاصّة، كونها تخضع للرقابة الأمنية الإسرائيلية المباشرة، وتحكم عملها جملة من الاتفاقات التي عقدتها جهات دولية، مثل الاتحاد الأوروبي و«البنك الدولي» مع الاحتلال. يوضح أبو جياب: «هذه المرّة الأولى التي تستهدف فيها إسرائيل المدينة الصناعية التي تحوي 60 مصنعاً نوعيّاً فقط، وقد دمّرت ثلث تلك المصانع التي توفّر فرص عمل لـ2000 عامل، وأحدثت أضراراً كبيرة في البنية التحتية للمدينة، ما يجعلها بحاجة إلى تأهيل كلّي لكي تعيد فتح أبوابها من جديد». يتابع الخبير الاقتصادي: «ما يميّز السلوك الإسرائيلي تجاه القطاع الصناعي في هذه الحرب، هو كثافة التدمير الذي تعرّضت له المنشآت، إذ إن 50 منشأة فقط تجاوزت الخسائر فيها حدود الـ45 مليون دولار، بينما تضرَّر، في عام 2014، ما يزيد على 1000 منشأة، ولم تتجاوز الخسائر، في حينه، سقف الـ150 مليون دولار».

وتفيد تقديرات أصدرتها جهات عمالية نقابية، بأن القطاع الصناعي فقد 20 ألف فرصة عمل خلال فترة الحرب، نتيجة استهداف المصانع بشكل مباشر، أو توقُّفها عن العمل بسبب الظروف الأمنية. ومن الجدير ذكره، أن القطاع الصناعي بقي، منذ انتهاء حرب عام 2014، خارج حسابات الإعمار، إذ لم يتم تعويض 70% من أصحاب المصانع التي تمّ تدميرها عن خسائرهم.

> **تعمّدت الطائرات الحربية الإسرائيلية استهداف المصانع بقذائف الفوسفور الابيض**

وبحسب إحصاءات وزارة الأشغال، فإن الأضرار التي لحقت بالقطاع الصناعي، في الحرب الماضية، بلغت قيمتها 150 مليون دولار، ولم تقدَّم الدول المناحة سوى 20 مليوناً استفاد منها بعض أصحاب المصالح الإنتاجية على شكل إغاثات عاجلة.

المصانع المدمّرة منتقاة بعناية

يُقدَّم حجم الخسائر الكبير في القطاع الصناعي، مقارنةً بعدد الوحدات المدمَّرة، تصوّراً عن الصبغة الانتقائية للمصانع التي جرى استهدافها، إذ يشترك مصنع شركة «كوكاكولا» العالمية للمشروبات الغازية التي تمتلك تأميناً من «البنك الدولي»، وجرى افتتاحه في المدينة الصناعية عام 2014 بوساطة أميركية كأحد بنود خطة جون كيري الاقتصادية، مع مصانع شركة «بشير السكسك» للأدوات الصحية وعدد من مصانع الملابس ومواد التنظيف، بحيويتها لجهة استيعابها لعدد كبير من العاملين، بالإضافة إلى تصدير منتجاتها إلى خارج حدود القطاع. مفاعيل هذا النهج، تؤثّر على القطاع الصناعي ليس على المدى القريب فحسب، إنّما تمتدّ إلى خلق حالة من عدم اليقين لدى المستثمرين الأجانب، ولا سيما في قطاعات النسيج والأخشاب، الأمر الذي يقدّر أبو جياب أن انعكاساته ستطاول التعاقدات الخارجية مع المصانع المحلية، وحتى على مستوى القطاع الزراعي الذي جرى تدميره على نحو مدروس أيضاً.

ولا يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ؛ إذ أطلق مربّو الدواجن والمواشي اللاحمة في القطاع، نداءً استغاثة بعد منع إسرائيل دخول الأعلاف إلى غزة، الأمر الذي يهدّد الأمن الغذائي الذي يوفّره هذا القطاع الحيوي لسكان غزة. وبحسب إحصاءات وزارة الزراعة، فإن 15 ألف رأس عجل، و200 بقرة حلوب، فضلاً عن 3 ملايين دجاجة، ستحكم عليها إسرائيل بالإعدام، إذا لم تسمح، خلال أيّام، بدخول الأعلاف عبر معبر كرم أبو سالم الذي يعمل بشكل جزئي منذ انتهاء الحرب، علماً بأن عدد الطيور النافقة، حتى اليوم، تجاوز الـ350 ألفاً.

واجهة غزة التجارية في المهداف ايضاً

المشهد الذي ستخرج فيه من المدينة الصناعية أقصى شرق مدينة غزة، سيرافقك إلى قلب المدينة؛ فحي الرمال (وسط) الذي يُعدُّ المركز التجاري للقطاع، دمَّرت الحرب 50% من محالّه الكبرى. وتُقدَّر خسائر المتاجر المدمَّرة على نحو كلّي بمئات الملايين، فيما يفوق عدد العمال الذين فقدوا مصدر رزقهم الآلاف.

لكنّ المشكلة التي يواجهها القطاع الصناعي، ليست في حجم الخسائر المادية فحسب، بل في الأزمات التي تعترض طريق إعادة إحياء تلك المنشآت من جديد، خصوصاً إذا ما علمنا أن إسرائيل تمنع، منذ عام 2000، دخول المعدّات الصناعية الثقيلة للقطاع، وأن مصنعاً واحداً، مثل «كوكاكولا» الذي تم بناؤه نتيجة لاتفاق سياسي، استغرق ثلاث سنوات من البناء، كي يبدأ بضخ منتجاته في السوق المحلية. وهنا، يقدّر وكيل وزارة الأشغال، ناجي سرحان، أنه إذا جرى التعامل مع القطاع الصناعي بالنهج نفسه الذي كان عليه الحال عام 2014، فإن إعادة الحياة لتلك المنشآت ستستغرق سنوات. ويشير سرحان، في حديثه إلى «الأخبار»، إلى أن الإحصاءات التي تصدرها الوزارة في ما يتعلّق بالقطاع الصناعي تحديداً، تحمل جدولين: الأوّل مخصّص لما هو متراكم منذ السنوات الماضية، والآخر، لما هو متعلّق بالعدوان الحالي، إذ تعمل «الأشغال» على إصدار وثيقة شاملة لإعادة إعمار القطاع، تأخذ في حسبانها معالجة الآثار التي خلّفتها ثلاث حروب ماضية.

تواصل الترتيبات لمفاوضات القاهرة: تحذيرات من التلاعب بملفّ الإعمار

غزة - **رجب المدهون**

في الوقت الذي جدّد فيه الوفد الأمني المصري زيارته لقطاع غزة ودولة الاحتلال، لترتيب إطلاق مفاوضات غير مباشرة بين حركة «حماس» وإسرائيل في القاهرة خلال الأيام المقبلة، بهدف تثبيت وقف إطلاق النار، كرّرت الحركة تحذيراتها للعدو من التلاعب بملفّ الإعمار. جاء ذلك فيما نفى مصدر قيادي في «حماس» أن يكون المصريون قد مارسوا أو يمارسون ضغطاً على الحركة لإنجاز تهدئة طويلة الأمد مع الاحتلال، مؤكداً أن المصريين يواصلون جهودهم للحفاظ على حالة وقف إطلاق النار كخطوة أولى، عبر تذليل العقبات التي يحاول العدو وضعها أمام إعادة إعمار القطاع. وكانت صحيفة «هآرتس» العبرية ذكرت أن وزير المخابرات المصرية، اللواء عباس كامل، يضغط على إسرائيل و«حماس» لإرسال مبعوثيهما إلى القاهرة بالسرعة الممكنة، من أجل بدء مفاوضات على التهدئة الطويلة.

ووصل، أمس، الوفد الأمني المصري برئاسة اللواء أحمد عبد الخالق، مسؤول ملفّ فلسطين في المخابرات المصرية، إلى قطاع غزة عبر معبر بيت حانون، ضمن زياراته المكّوكية بين القطاع ودولة الاحتلال بعد انتهاء الحرب الأخيرة. وكشف المصدر أن الحركة أبلغت المصريين أن وفداً قيادياً رفيعاً منها سيصل إلى القاهرة الأسبوع المقبل، بناءً على دعوة رسمية تلقّاها رئيس المكتب السياسي لـ«حماس»، إسماعيل هنية، مؤكداً أن الحركة والمقاومة تدخلان معركة المفاوضات بأوراق قوة كبيرة.

وبحسب تطمينات الوسيط المصري للحركة، ستعود دولة الاحتلال، الأسبوع المقبل، عن خطواتها «العقابية» الأخيرة التي اتّخذت خلال معركة «سيف القدس» وما زالت متواصلة جزئياً، إذ ستعيد فتح المعابر والبحر، وإدخال الوقود لمصلحة محطة توليد الكهرباء، وإصلاح جميع خطوط الكهرباء التي تضرّرت في المعركة، بالإضافة إلى السماح بإدخال المنحة القطرية، فيما لا تزال قضية إعادة الإعمار عالقة حتى اللحظة عند مطلب ربطها بقضية الجنود الأسرى. وكانت شركة الكهرباء في غزة أعلنت أن نسبة العجز في ساعات وصل الكهرباء بلغت 79,2%، وبواقع 4 ساعات وصل و16 ساعة قطع، وذلك في ظلّ استمرار تعطُّل 4 خطوط نقل رئيسة، بالإضافة إلى منع دخول الوقود إلى محطة توليد الطاقة.

وفي ما يتعلّق بزيارة عباس كامل لقطاع غزة، أشار المصدر إلى أن الحركة لم تُبلَّغ بهذا الأمر، وهي لا تزال تجري ترتيبات زيارة وفدها إلى القاهرة، علماً أن الوفد سيرأسه هنية، الذي سيلتقي أعلى المستويات المصرية، ولن يكون لديه مانع من إجراء مفاوضات غير مباشرة مع الاحتلال بخصوص استمرار وقف إطلاق النار. في هذا الوقت، حذّر القيادي في «حماس»، مشير المصري، العدو من التلاعب بملفّ الإعمار، مؤكداً أنه سيتمّ إعمار القطاع رغم أنف إسرائيل، وذلك خلال مهرجان لتأبين الشهداء في محافظة رفح جنوب غزة، تزامن مع عرض عسكري كبير شمل صواريخ وطائرات مسيّرة وأسلحة نوعية. في المقابل، كشفت صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية أن وزير خارجية الاحتلال، غابي أشكنازي، سيتوجّه إلى مصر الأسبوع المقبل للمشاركة في محادثات غير مباشرة مع «حماس». على خطّ موازٍ، حذّرت شبكة المنظّمات الأهلية الفلسطينية من وجود أطراف تسعى إلى إبقاء الأزمة الإنسانية وتعميقها، لحسابات سياسية، بينما عبّر وزير الخارجية القطري، محمد آل ثاني، عن تشكّكه في إمكانية تحويل آموال إعادة الإعمار إلى السلطة الفلسطينية ومن هناك إلى غزة، مؤكداً أن ثمة صعوبة في ذلك، على اعتبار أن «السلطة لا تستطيع الوصول إلى القطاع بسهولة»، مضيفاً أن «قطر تريد التعاون مع السلطة، لكن المهمّ بالنسبة إليها هو تحقيق نتيجة».

> **بحسب التطمينات المصرية، ستعود دولة الاحتلال الأسبوع المقبل عن خطواتها «العقابية» الأخيرة**

لا تزال قضية إعادة الإعمار عالقة عند مطلب ربطها بقضية الجنود الأسرى (أ ف ب)

فلسطين تحطم الأسوار

العلاقة الأميركية - الإسرائيلية في اختبار غزة

كثير من الثوابت... قليل من المتغيّرات

أعطيت تل ابيب كل الوقت الذي ارادته لتحقيق اهدافها (أ ف ب)

يحيى دبوق

لا تستقيم قراءة الموقف الأميركي من المواجهة الإسرائيلية - الغزّية الأخيرة، من دون مقدّمات مرتبطة ببنية العلاقة ومحدّداتها، بين الولايات المتحدة وإسرائيل، نظرية التابع والمتبوع، التي يتمسّك بها البعض، سواءً عنت تبعية أميركية لإسرائيل أو العكس، من شأنها أن تعيب تفسير الوقائع والمواقف كما حدثت، وأن تُضيّع الفرصة في معاينة مسؤولية إسرائيل وأميركا عن جرائمهما المشتركة الأخيرة في غزة، فضلاً عن قصورها عن تقدير الآتي من قرارات الجانبين ضدّ الساحة الفلسطينية. هل تستطيع إسرائيل أن تتّخذ قرارات عدائية وتبدأ مواجهات عسكرية من دون موافقة أميركية مسبقة؟ وهل بإمكانها التملّص من رفض أميركي ما لتوجّهات من هذا النوع؟ أم أن القرارات العدائية تُتّخذ بالشراكة بين الجانبين، بعد مشورة وبحث مسبقَين؟ وهل ثمّة قرارات منفردة يتمّ إبلاغ الطرف الآخر بتوقيت تنفيذها لدى وقوعها أو قبلها مباشرة؟

فهْم هذه البنية يسهّل فهْم المواقف، سواءً جاءت متوافقة أو متباينة، وكذلك الأسباب التي تقف خلفها، ومردّ الاختلف الذي يظهر أحياناً من دون أن يؤثر على جوهر العلاقة وثباتها.

ثمّة مجموعة ثوابت في العلاقات الأميركية - الإسرائيلية، أوّلها وأهمّها أن إسرائيل تحتاج إلى الولايات المتحدة حاجة وجود، أي أن علاقتها بأميركا متّصلة مباشرة بوجودها وبقائها واستقرارها وأمنها وتفوّقها العسكري ومناعتها السياسية وحضورها الإقليمي والدولي واقتصادها، فضلاً عن قدرتها على تحمّل التهديدات ومواجهتها، وقدرتها على الإيذاء. باختصار: لولا الرعاية الأميركية، لما كانت إسرائيل موجودة الآن. يستتبع ذلك ضرورة أن تكون إسرائيل منفّذة إلى قرارات الولايات المتحدة وتوجّهاتها، وألّا تجرؤ على تبنّي خيارات يمكن أن تضرّ بالمصالح الأميركية. إلا أنه في المقابل، وهذا ما يعيب نقْضه بعض القراءات، ثمّة هامش معيّن تمتلكه إسرائيل لبلورة قرارات ما، وتنفيذها أيضاً، بما قد لا يتساوق بالكامل مع المصالح الأميركية. وهو هامش يضيق ويتّسع، بحسب القضية موضع القرار، وبحسب الساحة محلّ صدوره وتنفيذه، وكذلك بحسب هوية الإدارة الأميركية وتوجّهاتها.

مع ذلك، ضمن الهامش المشار إليه، تختلف الظروف، وفقاً لفهمها إسرائيلياً، ولطبيعة القرارات التي يجب اتّخاذها فيها وكيفية تنفيذها، ما يعني أن سماح أميركا لإسرائيل باتخاذ قرارات بمعزل عنها لا يعني بالمطلق أن هذه القرارات ستُتّخذ وتُنفّذ؛ إذ تبقى القدرة والتبعات والأثمان عاملاً حاسماً وحائلاً دون بعض القرارات، سواء حصلت على إذن أميركي أم لم تحصل. بتعبير أوضح، يمكن القول إن إسرائيل تمتنع من تلقاء نفسها عن اتّخاذ قرارات تؤدي إلى إيذاء أميركا وضرب مصالحها. لكنّ الرعاية الأميركية للكيان، والتي يمكن وصفها بالرعاية الأبوية للأبناء، تسمح لتل أبيب بتجاوز ما، على اعتبار أن الأب في نهاية المطاف لن يتخلّى عن ابنائه. وتلك استثناءات محدودة جدّاً، في حال رأت إسرائيل أن القرار العدائي ملحّ وضروري إلى حدّ كبير جداً، وإن مع ما سيُقدم عليه، لكانت فعلته. على أيّ حال، يصعب إيجاد قرارات كهذه اتّخذتها إسرائيل فعلاً، وكان من شأنها أن تضرّ الأميركيين، أو كان ثمّة خلاف حولها معلَن أو غير معلَن.

> ثمّة مجموعة ثوابت في العلاقات أوّلها وأهمّها أن إسرائيل تحتاج إلى الولايات المتحدة حاجة وجود

نموذج غزة

آخر الأمثلة الحيّة على ما بين وإشنطن وتل أبيب قدّمته الساحة الغزّية. وفقاً لما تسرّب في الإعلام العبري، فإن إسرائيل لم تُقدِم على ردّها من دون إخطار الأميركيين، بمعنى تحصيل موافقتهم، علماً أن الردّ كان من شأنه أن يتسبّب باتّساع المواجهة مع القطاع، لكن صواريخ فصائل المقاومة استهدفت إسرائيل بشكل غير مسبوق و«استفزازي»، وفي القدس المحتلة نفسها. تحدّث الإعلام العبري، ومعه الكثير من إعلام الخارج، عن تباين في الموقف بين إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن، وصاحب القرار في تل أبيب، إزاء المواجهة الأخيرة، وهو ما أدّى، وفقاً لهذا الحديث المغلوط، إلى ضغط أميركي كبير على إسرائيل، دفعها إلى التراجع ووقف إطلاق النار. في الواقع، كان الجانب الأميركي، في بداية المواجهة، وفي مسارها اللاحق، موافقاً على الردّ الإسرائيلي، بل طلب التمهّل في طلب وقف إطلاق النار، ومن ثمّ عرقل اتجاهات دولية أرادت العمل على ذلك.

باختصار، أعطيت تل أبيب كلّ الوقت الذي ارادته لتحقيق أهدافها، ولم يأتِ طلب التهدئة من قِبَل إدارة بايدن، بحسب المواقف والتصريحات والتسريبات، إلا بعد أن وصلت إلى البيت الأبيض تقديرات الجهات المختصّة للوضع الميداني، والمبنيّة على معلومات من الجيش الإسرائيلي نفسه، بأن إسرائيل حقّقت ما يمكنها تحقيقه عبر العملية العسكرية ضدّ غزة، وأن إطالة أمد المعركة لا يزيد من فوائدها، بل يؤدي إلى إلحاق أضرار بإسرائيل. هنا، تدخّلت واشنطن، وأعانت تل أبيب على النزول عن شجرة طويلة جدّاً تسلّقتها في بداية المواجهة. المعنى أن الأميركي ضغط بعد أن استنفد الإسرائيلي خياره العسكري المتاح له، وفقاً لظروفه وإمكاناته في مواجهة غزة. هذا هو السبب الأوّل الذي يفسّر التدخل الأميركي، أمّا السبب الثاني فهو منْع صاحب القرار في تل أبيب من إكمال المعركة لحسابات داخلية وشخصية لديه، ما قد يهدّد بتدحرج المواجهة إلى خارج الساحة الفلسطينية، ويؤدي بالتالي إلى التشويش على توجّهات أميركية إقليمية قائمة على خفض التصعيد. ومن هنا، لم يكن أمام إسرائيل إلا الانصياع للضغط الأميركي بلا تردّد.

ما يجدر التنبيه إليه، أخيراً، هو أن ما قيل عن أن مشاهد الدمار وقتل الأطفال والنساء والشيوخ واستهداف وسائل الإعلام حرّكت الضغط الأميركي على إسرائيل، مجرّد إخراج شكلي لتجميل الموقف الأميركي بمفعول رجعي، على اعتبار أن واشنطن شريكة في قتل الفلسطينيين وتدمير دورهم السكنية وبنيتهم التحتية، مثلها مثل تل أبيب، إن لم تكن أكثر.

الإدراك المسبق أن الجانب الأميركي لا يوافق عليه.

لإسرائيل أيضاً، أن تستعين، في حال وقوع الاختلاف، بالتيارات والقوى واللوبيات الموالية لها في الداخل الأميركي، للضغط على صاحب القرار في واشنطن، علماً أن من بين تلك التيارات ما يضع المصلحة الإسرائيلية في مرتبة متقدّمة جدّاً في سُلّم أولوياته، باعتبار أن إسرائيل تُجسّد في ذاتها، وفقاً لما تراه مناسباً لها، المصالح الأميركية في المنطقة. وتتمتّع إسرائيل، بفعل ذلك، بهامش تأثير إضافي على توجّهات الولايات المتحدة، التي تجد نفسها، في المقابل، مضطرّة لمراعاة موقف القوّى الموالية للدولة العبرية، لكنّ هذه المراعاة تختلف من إدارة إلى أخرى، بحسب حجم قوّتها وهامش تحرّكها الداخلي، حيث الضغوط متشعّبة ومتداخلة ومنها ما هو متعارض، وعليه فمن الطبيعي أن تختلف الاستجابة لها وفقاً لهوية الإدارة. وهذا ما يجعل عامل «اللوبيّات» متغيّراً وسيّالاً جدّاً، وغير قابل للتنبّؤ بما ينتج منه، ليس بالنسبة إلى المراقبين فحسب، بل وأيضاً بالنسبة إلى منظومة القرار في تل ابيب وفي واشنطن، على السواء.

هذه هي الوجهة العامة للعلاقة بين الجانبين، لكن ماذا في حال وجدت إسرائيل نفسها مضطرة إلى اتّخاذ قرارات لا تحوز الرضى الأميركي، في سياق «تحقيق أمنها»؟

هنا، يُتوقّع إبداء الولايات المتحدة تفهّمها لقرارات «حليفتها» - وإن مع شكل من أشكال المعارضة - على اعتبار أنها تتّصل بـ«الأمن القومي» لإسرائيل، لكن حتى توقّع هذا التفهّم لا يعني بالضرورة اتّخاذ إسرائيل قراراً مخالفاً للإرادة الأميركية؛ إذ تبقى توجّهات تل أبيب، ولو في مجال «الأمن القومي»، مسقوفة. في الواقع، لم تشنّ إسرائيل، طوال تاريخها منذ أن باتت أميركا الراعي المباشر لها، حرباً من دون رضى الولايات المتحدة، ربّما شهدت بعض العمليات خلافاً في الفترة التي سبقت مباشرتها ميدانياً، في ظلّ شيء من التردّد الأميركي ربطاً باختلاف قراءة الجانبَين لتداعياتها، لكن في نهاية المطاف، لم تشنّ إسرائيل أيّ حرب أو عملية عسكرية بلا ضوء أخضر أميركي. في الوقت نفسه، من الخطأ المبالغة بالقول إن إسرائيل مضطرة، في أيّ قرار صغُر أو كَبُر، لنيل موافقة أميركية مسبقة، إذ ثبُت أن جملة قرارات إسرائيلية، صغيرة نسبياً ولا تضرّ بالمصالح الأميركية، اتّخذت ونُفّذت، فيما قرارات كبرى كادت تُتّخذ، ولم يتمّ ذلك لعدم الرضى الأميركي. والتقدير غير الحاسم، هنا، هو أنه لولا تدخّل واشنطن لإفهام تل ابيب خطورة

عمان

أوّل موجة مطلبية منذ 2011

هيثم بن طارق يعتصم بـ«الاحتواء»

للمرّة الأولى منذ موجة الاحتجاجات الأخيرة عام 2011، تشهد سلطنة عُمان موجة مماثلة جديدة، تمثّلت في تظاهرات عمّت عدداً كبيراً من المحافظات، للمطالبة بتحسين الأوضاع المعيشية ومحاربة الفساد. يأتي ذلك ليُمثّل تحدّياً إضافياً أمام السلطان هيثم بن طارق، الذي يحاول، على ما أنبأ به سلوك السلطان، احتواء التظاهرات، تحسّباً لتصعيد أكبر لن يكون في صالح أجندته التي بدأ تنفيذها منذ خَلْف السلطان الراحل قابوس بن سعيد

حسين إبراهيم

منذ بداية الأسبوع، تشهد سلطنة عمان تظاهرات يومية في معظم محافظاتها، تحت عنوانَين رئيسيَّن: الأوّل، مطالبة مجموعات من العاطلين عن العمل بإيجاد وظائف لهم؛ والثاني، محاربة الفساد وكبار التجّار المستفيدين منه. فما الذي يجري فعلياً في السلطنة؟ وكيف ولماذا انطلقت هذه التظاهرات من صحار، وانتشرت دفعة واحدة في محافظات البلاد كافة، علماً أن آخر تظاهرات شهدتها عُمان كانت في عام 2011، تزامناً مع ما سُمّي «الربيع العربي»؟ بدأت الأحداث حين نظّم عشرات العاطلين عن العمل تظاهرة أمام مديرية صحار الإثنين الماضي، تخلّلتها هتافات من بينها «الشعب يريد إسقاط الفساد»، وقاموا بإلقاء الحجارة وقوارير المياه على الشرطة التي ردّت بإلقاء قنابل الغاز المسيّل للدموع، ثمّ امتدّت التظاهرات التي رفعت شعارات مماثلة على مدى الأيام التالية، لتشمل مسقط وظفار وعبري ونزوى وصور وصلالة وإبراء والخابورة والبريمي.

منذ اللحظة الأولى، قرّرت السلطات العمانية التعامل بليونة مع المتظاهرين، وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن غضبهم من جهة، والسعي إلى تلبية مطالبهم من جهة أخرى. اكتفى رجال الأمن بحماية المحتجّين، حتى إنهم قاموا بتوزيع مياه الشرب عليهم في ظلّ الحرّ الشديد، فيما أقام مسؤولو المحافظات حوارات مباشرة مع المتظاهرين للوقوف على مطالبهم، ثمّ أصدر السلطان هيثم بن طارق توجيهات إلى وزارة الدفاع بفتح باب التوظيف في القوات المسلّحة، لاستيعاب ما يمكن من العاطلين عن العمل. وكان مفتي السلطنة، أحمد بن حمد الخليلي، الذي يحظى باحترام عُماني وعربي واسع بسبب موقفه المناهض للتطبيع مع إسرائيل، دعا المتظاهرين والسلطة إلى الابتعاد عن العنف، ولكنه انحاز إلى مطالب المحتجّين، حين اعتبر أن «صاحب الحاجة أعمى لا يرى إلا قضاءها»، داعياً «جميع المسؤولين إلى أن يسعوا إلى حلّ مشكلات مَن هم تحت مسؤولياتهم؛ فكلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته».

منذ البداية، كان واضحاً أن سقف الاحتجاجات مرتفع، إذ وجّه بعض المحتجّين رسالة مباشرة إلى السلطان، مطالبين إيّاه بمحاربة الفساد وتأمين وظائف للشبان، إمّا بخلق فرص عمل جديدة وإمّا بإحلال العُمانيين مكان الوافدين، وزيادة الرواتب، والاهتمام بذوي الدخل المحدود، وإلغاء الضرائب عن المواطنين، وتوفير السكن لهم.

وانصبّ غضب هؤلاء المتظاهرين على تجّار البلد و«هواميره» الذين أكلوا الأخضر واليابس، وعلى قيام بعض الشركات بتسريح عدد كبير من الشباب. وإذ حذّر بعض العُمانيين، على وسائل التواصل الاجتماعي، من أنه إذا لم تتدخّل الحكومة لمعالجة المطالب ومحاربة الفساد، فستكون ثمّة مفاجآت تهزّ البلد، دان البعض الآخر العجز المالي للمواطنين في مقابل الوفرة المالية لدى المسؤولين، ودعا إلى محاسبة الفاسدين، والتوظيف المباشر للباحثين عن عمل بعيداً عن المبادرات، في إشارة إلى مبادرة السلطان. ولمّح قسم ثالث إلى وجوب فتح ملفّات الفاسدين الذين جنوا أموالهم خلال خمسين سنة ماضية، في إشارة إلى العهد السابق، وسحب جميع الأموال منهم.

وبعد أيّام من التحرّكات السلمية، بدا أن الأمور تسلك منحى تصاعدياً، خصوصاً مع دخول السعودية والإمارات، اللتين تُشكّلان مع اليمن الحدود البرية للسلطنة، على خطّ الأحداث، بالتحريض على استخدام الشدّة ضدّ المتظاهرين. واعتقلت الشرطة العمانية 13 شخصاً لاتهامهم بالتورّط في أعمال شغب وإضرام النار في أماكن وممتلكات عامة في محافظة البريمي المحاذية للإمارات، والتي كان جزء من أراضيها موضع خلاف حدودي بين البلدين، جرى توقيع اتفاق بشأنه بين السلطان قابوس وزايد بن سلطان في عام 1999. وكالعادة في كلّ حراك خليجي، بدأ التدخّل السعودي عبر الذباب الإلكتروني الذي يديره سعود القحطاني، والذي رفع وسم «بهمّنا استقرار سلطنة عمان الشقيقة»، وهو التعبير المرمّز لدعوة السلطات العمانية إلى استخدام القوة ضدّ المتظاهرين، ثمّ أجرى الملك سلمان اتصالاً بالسلطان ليبلغه تمنّياته للسلطنة «بالتقدّم والازدهار».

التحريض الإماراتي كان أكثر صلافة؛ إذ اتّهم الذباب الإماراتي جماعة «الإخوان المسلمين» بالوقوف وراء تلك الاحتجاجات، وهو اتهام ليس له سند على أرض الواقع، خصوصاً أن المحتجّين عبّروا عن مطالب اقتصادية بحتة، لا علاقة لها بالسياسة. وفي المقابل، اتهم عُمانيون الإمارات بالسعي إلى إثارة الفتنة في السلطنة. وإذا كان من الطبيعي أن تقلق السعودية من تظاهرات احتجاج على البطالة في دولة جارة، وهي التي لديها بطالة تزيد عن 14%، فإن العلاقة بين السلطنة والإمارات لها طابع كياني، حيث تأسّست الإمارات في عام 1971 من ما يُسمّى «إمارات الساحل العماني المتصالح»، بعدما كانت بعض إمارات الدولة تدين بالولاء لسلطان عمان. لكن أسباب السعودية والإمارات للدخول على خطّ الأحداث العمانية تتعدّى ذلك، لتشمل الأدوار التي تلعبها السلطنة في الملفّ النووي الإيراني وملفّ اليمن، والتي لا يبدو أنها تُرضي أيّاً من الدولتين.

قرّرت السلطات العمانية التعامل بليونة مع المتظاهرين، وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن غضبهم (من الويب)

ليبيا

لا توافق على أسس الانتخابات: ترحيل الخلاف إلى «برلين 2»

كما كان متوقّعاً، فشل «ملتقى الحوار السياسي» الليبي في تحقيق توافق في شأن القاعدة الدستورية التي ستُجرى على أساسها الانتخابات المقبلة، وذلك بعد مناقشات وسجالات استمرّت على مدى ثلاثة أيّام، وسط مراقبة أممية لتفاصيل المناقشات بين أعضاء الملتقى الذين يرغب بعضهم في تمديد مهمّة الحكومة الانتقالية، وإرجاء الانتخابات. فشلٌ سيدفع ملتقى الحوار إلى إرجاء الحلول في انتظار مخرجات «مؤتمر برلين 2» الذي سيُعقد الشهر المقبل، بهدف متابعة المسار السياسي الذي يدفع بعض الأطراف إلى إتمامه في أقرب وقت ممكن.

ورفض المبعوث الأممي إلى ليبيا، يان كوبيش، ما جرى من مناقشات تتجاوز جدول الأعمال المتّفق عليه سَلَفاً، مؤكداً ضرورة الانتهاء، من اعتماد القاعدة الدستورية في المواعيد المتّفق عليها، حيث يُفترض أن يكون شكل النظام السياسي مستقراً وواضحاً من قِبَل الملتقى في غضون الأسابيع المقبلة، من أجل التجهيز للعملية الانتخابية.

وشهدت الجلسات مناوشات مرتبطة خصوصاً بالخلافات حول تفاصيل العملية الانتخابية، وما إذ كان يُفترض أن تُجرى استناداً إلى دستور جديد يستلزم الدعوة إلى استفتاء، قبل الاستحقاق الانتخابي المحدّد يوم 24 من كانون الأول/ ديسمبر المقبل، أو اعتماد قاعدة دستورية مؤقّتة من قِبَل الملتقى يُجرى على أساسها الاقتراع، على أن يُرحَّل الاستفتاء، على الدستور إلى وقت لاحق. وعلى غرار الأزمات التي سبقت تسمية وزراء الحكومة العتيدة، شهدت آراء أعضاء الملتقى انقسامات في عدّة قضايا جوهرية، في مقدّمها صلاحيات الرئيس وآلية انتخابه، وما إذا كان شكل النظام المقبل رئاسياً أو برلمانياً أو مختلطاً. وفي ما اعتبره البعض محاولات للإقصاء، جرى نقاش موسّع حول مدى أحقيّة مزدوجي الجنسية الترشّح للانتخابات، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المتزوجين من أجنبيات/ أجانب.

ويأتي ذلك في الوقت الذي دخلت فيه قوات المشير خليفة حفتر على خطّ الأزمة، عبر بيان صادر عن الناطق باسمها، أحمد المسماري، الذي اتّهم بعض الأطراف بالسعي إلى تعطيل الانتقال السياسي في البلاد، وعرقلة الانتخابات الرئاسية والنيابية، معتبراً أن هناك مَن يريد استمرار الفوضى وعدم تحقيق الانتقال السلمي للسلطة. وجاء البيان مخالفاً لقرار رئيس «المجلس الرئاسي» والقائد الأعلى للجيش، محمد المنفي، منعَ جميع العسكريين من الإدلاء بأيّ تصريحات، في حين لا يزال المشير وقواته يرفضون الانخراط بعملية الانتقال السياسي بشكل كامل، وما تتضمّنه من تسليم سلاحهم للحكومة المركزية.

وتحاول الحكومة الليبية العمل بشكل طبيعي بعيداً من الأزمات القائمة في المسار السياسي، وخصوصاً وزيرة الخارجية، نجلاء المنقوش، التي استقبلت نظيرها القطري، محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، في طرابلس، في إطار لقاءات تُجريها، وتهدف إلى استعادة عمل البعثات الدبلوماسية الأجنبية، فيما يحاول رئيس الحكومة، عبد الحميد الدبيبة، تأجيل القضايا الخلافية، وعدم التطرُّق إلى أيّ أحاديث عن الانتخابات في انتظار ما سيسفر عنه «ملتقى الحوار السياسي».

(الأخبار)

(أ ف ب)

تقرير

في مهمّته الاخيرة قبل مغادرته منصبه، سعى المبعوث الأممي إلى اليمن، مارتن غريفيث، إلى القفز فوق المبادرة السعودية لإعادة ضبط مسار السلام، علّه بذلك يترك انطباعاً حسناً يضيفه إلى رصيده. لكنّ اللعب في الوقت بدل الضائع لا يؤتي عادةً نتائجه المؤمّلة، وإن كانت الأمم المتحدة تحاول الإيحاء، من جديد، بجدّية المسار المُقترح، والهادف إلى العودة للالتزام بما جرى الاتفاق عليه سابقاً، وفي مقدّمه رفع الحصار عن ميناء الحديدة ومطار صنعاء، تمهيداً للتوصّل إلى وقف دائم لإطلاق النار

كثّف «التحالف»، في اليومين الماضيين، عملياته الجوية في محافظات مأرب والجوف وصعدة (أ ف ب)

لعب أمميّ في الوقت الضائع: غريفيث يودّع اليمن... بالوعود

صنعاء - **رشيد الحداد**

بعيداً من المقترحَين الأميركي والسعودي للسلام في اليمن، حاول المبعوث الأممي، مارتن غريفيث، خلال جولته الأخيرة في المنطقة، والتي شملت العاصمتَين السعودية والعُمانية، وانتهت يوم أمس، إعادة مسار السلام إلى ما قبل الإعلان عن المبادرة السعودية في منتصف آذار/مارس الماضي. وعلى رغم الغموض الذي يسود تحرّكات غريفيث الأخيرة، قبل تسلّمه مهمّاته الجديدة كمسؤول للملفّ الإنساني في الأمم المتحدة، بدا المبعوث الأممي متفائلاً إزاء إحراز تقدُّم نحو الحلّ، في ظلّ الدعم الدولي والإقليمي المستمرَّين لمساعيه. وأكّد مكتبه، في بيان، أمس، أنه التقى، خلال زيارته مسقط، الناطق باسم حركة «أنصار الله»، رئيس وفدها التفاوضي محمد عبد السلام، إلى جانب كبار المسؤولين العُمانيين. وناقش الأطراف خطّة الأمم المتحدة لفتح مطار صنعاء الدولي، ورفع القيود عن ميناء الحديدة، لتعزيز حرية حركة الأفراد والسلع من اليمن وإليه، والتوصّل إلى وقف لإطلاق النار على مستوى البلاد، والتزام الأطراف بإعادة إطلاق عملية سياسية لإنهاء النزاع.

وفيما بقيت تفاصيل اللقاءات طيّ الكتمان، قالت مصادر سياسية في العاصمة صنعاء إن الأمم المتحدة قدّمت وعوداً جديدة تهدف إلى تخفيف الحصار عن ميناء الحديدة ومطار صنعاء. وأكدت أن مدير مكتب غريفيث، مروان الكفارنة، الذي زار صنعاء قبل أيّام، حمل وعوداً بتنفيذ ما سبق الاتفاق عليه بين الأطراف اليمنيين في «اتفاق استكهولم» الموقّع عام 2018، برعاية المنظمة الدولية، والعمل على استئناف المفاوضات في شأن تنفيذ الاتفاقات المتعلّقة بملفّ الأسرى والمعتقلين. وراء المصادر أن محاولة غريفيث العودة إلى تنفيذ الاتفاقات المتعثّرة، والتي جاءت في آخر جولة له قبل مغادرته منصبَه، تهدف إلى تحسين رصيده، عادّةً إيّاها بمثابة مسعى أممي «في الوقت بدل الضائع» لإنقاذ عملية السلام في اليمن من الانهيار، وصولها، خلال الأسابيع الماضية، إلى مفترق طرق، نتيجة الانحياز الأميركي للمبادرة السعودية، ومحاولة واشنطن، عبر مبعوثها إلى اليمن، تيم ليندركينغ، فرض عدد من بنود مبادرة المملكة، والتي عرضت على صنعاء وقف التقدُّم العسكري عند مأرب، في مقابل تخفيف الحصار عن ميناء الحديدة ومطار صنعاء. وعلى رغم أن الرياض لم تسلّم مبادرتها رسمياً منذ إطلاقها قبل أكثر من شهرين، إلّا أن حكومة صنعاء رفضت ربط الملفات الإنسانية التي سبق الاتفاق في شأنها، بأيّ ملفات أخرى عسكرية كانت أو سياسية. ومن أجندة الجولة الأخيرة لغريفيث، كشْف «التحالف»، في اليومين الماضيين، عملياته الجوية في محافظات مأرب والجوف وصعدة، تزامناً مع صدور توجيهات سعودية لقوات هادي بفتح التعبئة العامة لحشد مزيد من الميليشيات من مأرب وعدد من المحافظات بتمويل سعودي، فضلاً عن ترتيبات ميدانية تقوم بها تلك القوات مسنودةً بميليشيات «الإصلاح» عند تخوم المدينة، تمثّلت في إنشاء المزيد من التحصينات، وتعزيز مواقعها بالعناصر الميليشيوية. وفي هذا الإطار، أفادت مصادر محلية في مأرب، بـ«الأخبار»، بأن طيران تحالف العدوان شنّ عشرات الغارات على مناطق التماس في أطراف الطلعة الحمراء، وفي التومة السفلى في الجبهة الغربية، امتداداً إلى دشن الحقن شمال غرب مأرب. وأشارت المصادر إلى أن التصعيد الجوّي، منذ يوم الثلاثاء الماضي، تزامن مع محاولة قامت بها قوات هادي لاستعادة دش الحقن والتقدُّم نحو حمة الذئاب، مؤكدة أن تلك المحاولات أفشلت بعد ساعات من قِبَل الجيش اليمني و«اللجان الشعبية» اللذين كسرا الهجوم، وتمكّنا من تأمين عدد من المناطق في الجبهة الشمالية الغربية.

> قدّمت الأمم المتحدة وعوداً جديدة تهدف إلى تخفيف الحصار عن ميناء الحديدة ومطار صنعاء

وفيما تفيد المعلومات بأن وزارة الدفاع في صنعاء أنهت كلّ الترتيبات العسكرية لعملية حاسمة لتحرير مدينة مأرب، قامت وزارة الداخلية في حكومة الإنقاذ، خلال الأيام الماضية، بنشر المئات من العناصر الأمنيين الذين ينحدرون من قبائل المحافظة في جميع المناطق المحيطة بالمدينة، والواقعة تحت سيطرة حكومة صنعاء. كما أكد محافظ مأرب، اللواء علي محمد طعيمان، خلال زيارة ميدانية مع عدد من المسؤولين المحليين لجبهات القتال، أن المعركة مستمرّة حتى تحرير كامل المحافظة، مشيراً إلى أن «أبناء مأرب في مقدّمة الصفوف لتحرير ما تبقّى من المحافظة بعدما ذاقوا ويلات قوى الغزو والاحتلال، وانتهاكاتها في حقّ أبناء القبائل المأربية».

الوقود مستقبلاً، في مقابل عودة الأطراف إلى تنفيذ الاتفاقات السابقة المتعلّقة بإيداع الإيرادات الجمركية والضريبية المستوفاة من سفن الوقود الواصلة إلى الميناء، في حساب الرواتب المفتوح في فرع المصرف المركزي اليمني في مدينة الحديدة، على أن تقوم الأمم المتحدة بإلزام حكومة الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، بالوفاء بالتزاماتها تجاه موظّفي الدولة وسدّ العجز المالي في حساب الرواتب. ويضاف إلى ما سبق، أن تخفيف القيود عن شحنات الوقود القادمة إلى ميناء الحديدة سيتمّ بالتزامن مع تخفيف الحصار المفروض على مطار صنعاء، وسيُسهم تالياً في تحريك ملفّ الأسرى والمعتقلين المتعثّر منذ مطلع العام الجاري. لكنّ المحاولة الأممية التي تعاطت معها صنعاء، كعادتها، بشكل إيجابي، لم تُرضِ الجانب السعودي الذي كرّس ثقلَه السياسي والدبلوماسي، خلال الفترة الماضية، لفرض مبادرته التي اختزلت الحرب والحصار في محافظة مأرب.

استراحة

كلمات متقاطعة 3748

أفقيا

1- مدينة فرنسية – 2- مادة صلبة من حديد – دولة عظمى – 3- يُطعمهم – مدينة سويسرية – 4- إله – رائحة الزهر – من الحشرات – 5- من الأشجار – 6- عشرة بالأجنبية – شعور – من الفاكهة – 7- عائلة رئيس حزب لبناني – جزيرة يونانية في البحر الأيوني عند مدخل الأدرياتيك – 8- بيت النار يُخبز فيه – شعار للجيش اللبناني – وآلد – 9- قلب الإناء على رأسه – 10- من المواقع الأثرية اللبنانية قيل بأن امرأة هارون الرشيد شيدتها

عمودياً

1- فنانة لبنانية قديرة من أغانيها «عودوا يا حبايب» – 2- تتتبّع الشخص – مجرى ماء – 3- جوابي – عائلة فنان كندي من أصل سوري له أغنية «ديانا» – 4- أغنية لكوكب الشرق أم كلثوم – من الطيور – 5- إله التجارة عند اليونان – 6- وعاء سوائل – قائد القطيع – 7- متشابهان – مارشال سوفياتي من أبرز قادة الحرب العالمية الثانية – 8- فشل في الإمتحان – عملة إيطالية – هيئة الملابس – 9- ضد حضور – وكالة أنباء عربية – 10- محافظة في مصر

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- كوباكابانا – 2- البزابيت – 3- رد – تر – عادل – 4- كيلو – يوم – 5- ويّاك – مداد – 6- سان – اي – سجق – 7- غم – الضنك – 8- صابون – ياقة – 9- نهار – قس – 10- الغمد – ريم

عمودياً

1- كارلوس غصن – 2- ولد – ياماها – 3- بي – كان – بال – 4- أزتيك – أورغ – 5- كارل – الن – 6- اب – وميض – قد – 7- بيع – نيس – 8- اتاباسكا – 9- دودج – قوّي – 10- اولم – قحة

sudoku 3748

3	2				6	9		1
		1				8		
			3	9				6
	6				8			7
4			9		5			
		5		3	8	4		
8	5		6			9		
	4	6			2			5
1		3		4			2	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 3747

7	9	4	8	6	3	5	2	1
6	8	1	2	5	4	3	9	7
3	5	2	1	9	7	8	4	6
9	6	7	5	4	8	1	3	2
4	2	5	6	3	1	7	8	9
1	3	8	9	7	2	6	5	4
2	4	3	7	1	5	9	6	8
5	1	9	4	8	6	2	7	3
8	7	6	3	2	9	4	1	5

مشاهير 3748

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

مخرجة لبنانية تعمل في مجال الفيلم الوثائقي التجريبي . انجزت شريط « اختفاءات سعاد حسني الثلاث » تناولت فيه سيرتّها كإمرأة وفنّانة

إعداد نعوم مسعود

وفيات

بمزيد من الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره ننعي إليكم وفاة فقيدتنا الغالية المغفور لها بإذن الله المرحومة

الحاجة سعاد السيد محمد الحسن

والدتها: المرحومة بلقيس الشيخ أحمد رضا

زوجة: المرحوم العميد السيد علي إبراهيم الحسيني

ولدها: السيد إبراهيم زوجته ريما حسين قطيش

بناتها: ندى زوجة محمد عبد المجيد الزين، ديمة زوجة رفيق محمد سعيد الزين

أشقاؤها: المرحوم د.حسن، د.علي، د.حسين

شقيقاتها: المرحومة عفاف زوجة المرحوم غازي الجزائري، هيام زوجة عبد الجليل مرجان، ليلى أرملة المرحوم السيد أحمد رضا، المرحومة غادة

شقيق زوجها: المرحوم السيد محمد زوجته المرحومة ليلى كحيل

شقيقات زوجها: المرحومات علوية ومريم وبدرية

أحفادها: علي، كريم، ميلا، ثريا، هيا، ليلى

وُريت الثرى يوم الخميس الواقع في 27/5/2021 الموافق له 15 شوال 1442هـ في حسينية الشياح

ونظراً للظروف الصحية السائدة حالياً، تقبل التعازي عبر الاتصال على الأرقام التالية:

إبراهيم: 03-617181

ندى: 03-009907

ديمة: 03-351434

Email: husseinicondolences@gmail.com

الراضون بقضاء الله وقدره: آل الحسن، الحسيني، قطيش، الزين، الجزائري، مرجان، رضا، كحيل وأنسباؤهم

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
الأخبار al-akhbar
هاتف 01-759500
واتساب 71-513571
فاكس 01-759597

إعلانات رسمية

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلبت ايمان محمد سري الدين وكيلة طارق رشيد بو غنام لمورثته انتصار فارس بو غنام وريثة فارس رشيد بو غنام سند تمليك بدل ضائع للعقار 1176 عرمون.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

ليليان داغر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

طلب صلاح حسن غبار بصفته من ورثة حسن سلمان غبار شهادة قيد بدل ضائع للعقار 1725 ابل السقي.

للمعترض 15 يوماً للمراجعه

أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

يوسف شكر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

طلب أحمد محمد حسان بوكالته عن عبد الحسن حسين سعد وبوكالته عن فاطمه حسين سعد بصفتها وكيله عن جمال حسين سعد شهادتي قيد بدل ضائع للعقار 5861 الخيام.

للمعترض 15 يوماً للمراجعه

أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

يوسف شكر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

طلب علي محمد زين لموكليه رواد ورامي وعلي حسن عبدالله شهادة قيد بدل ضائع لحصة حسين محمد حسين يوسف للعقار 7960 حاصبيا.

للمعترض 15 يوماً للمراجعه

أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

يوسف شكر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلبت ايمان محمد سري الدين وكيلة طارق رشيد بو غنام لمورثته انتصار فارس بو غنام وريثة فارس رشيد بو غنام سند تمليك بدل ضائع للعقار 1176 عرمون.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

ليليان داغر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

طلب ظاهر مارون نجم شهادة قيد بدل ضائع للعقار 4569 الخربه.

للمعترض 15 يوماً للمراجعه

أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

يوسف شكر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

طلب حسن نجيب سابق لموكله كامل حسين شاهين شهادة قيد بدل ضائع للعقار 710 عين جرفا.

للمعترض 15 يوماً للمراجعه

أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

يوسف شكر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

طلبت امنه أحمد أحمد لموكلها أحمد عبد الكريم أحمد شهادة قيد بدل ضائع لحصته في العقار 7803 حاصبيا.

للمعترض 15 يوماً للمراجعه

أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

يوسف شكر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

طلب علي حسن حجازي لموكله محمود سمير مرعي بصفته وكيل عن سمير محمود علي مرعي شهادة قيد بدل ضائع لحصة الاخير في العقار 1125 مجدل سلم.

للمعترض 15 يوماً للمراجعه

أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

يوسف شكر

إعلان

تعلن شركة كهرباء لبنان الشمالي المغفلة – القاديشا عن تمديد مهلة استدراج العروض العائد لصيانة المعامل المائية الاربعة، وذلك وفق المواصفات الفنية والشروط الادارية المحددة في دفتر الشروط الذي يمكن الحصول على نسخة عنه لقاء مبلغ مئتا الف ليرة لبنانية (تضاف TVA) من دائرة الشؤون المشتركة في مركز الشركة في البحصاص ما بين الساعة 8 صباحاً و12 ظهراً من كل يوم عمل باستثناء يوم الجمعة لغاية الساعة 11 ظهراً.

تقدم العروض في أمانة السر في القاديشا – البحصاص.

تنتهي مدة تقديم العروض يوم الخميس الواقع فيه 10 حزيران 2021 الساعة 12 ظهراً ضمناً.

مدير القاديشا

المهندس عبد الرحمن مواس

التكليف 392

إعلان

من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

طلب ظاهر مارون نجم شهادة قيد بدل ضائع للعقار 4569 الخربه.

للمعترض 15 يوماً للمراجعه

أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

يوسف شكر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

طلب حسن نجيب سابق لموكله كامل حسين شاهين شهادة قيد بدل ضائع للعقار 710 عين جرفا.

للمعترض 15 يوماً للمراجعه

أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

يوسف شكر

إعلان

تعلن جمعية حولا التعاونية الزراعية، عقد جمعية عمومية عادية في مركز التعاونية نهار الأحد 27-6-2021، الساعة 11:00، وإن لم يكتمل النصاب تعقد جلسة ثانية نهار الأحد 4-7-2021 بمن حضر، لإقرار الميزانية وانتخاب هيئات جديدة.

الأخبار
al-akhbar
السبت 29 أيار 2021 العدد 4351

صورة وخبر

على الحدود اللبنانية-الفلسطينية المحتلة التي تحولت الأنظار إليها أخيراً، مع ذكرى «التحرير والمقاومة» وانتصار المقاومة في غزة، وأضحت قبلة للفنانين والمصممين، انضمت أول من أمس الجدارية الأخيرة في بلدة كفركلا الجنوبية، إلى باقي الجدرايات الثلاث (اثنتان منها نفّذتها مؤسسة «قاف» التوثيقية التي تعنى بمسيرة الشهيد عماد مغنية) التي حاكت الانتصار وفلسطين وقائد الانتصارين القائد الشهيد عماد مغنية. الجدارية التي رعتها «مؤسسة الثورة الإسلامية للثقافة والأبحاث» (مكتب «حفظ ونشر آثار الإمام الخامنئي») شارك في تنفيذها المصممان حسن شحادي وحسن فنيش، والرسامان محمد رمال ومحمد عطية، بتقنية الأكريليك. علماً أنّها تعود في الأصل إلى المصمم الإيراني محمد شكيبا الذي سبق ان نفذها في معرض «عودة القرن» في طهران، مع إضافة عبارة لخامنئي توجه فيها في السابع من الشهر الحالي إلى الفلسطينيين بالقول «تحركوا باسم الله إلى الامام واعلموا انه ولينصرن الله من ينصره» (الصورة من حساب محمد عطية).

رودجر ووترز على رأس الموقّعين على الرسالة المفتوحة

موسيقيون من حول العالم: الحرّية لفلسطين!

«كموسيقيين، لا يمكننا أن نلتزم الصمت. من الضروري اليوم أن نقف مع فلسطين». هكذا تعرّف منظمّة #MUSICIANSFORPALESTINE (موسيقيون من أجل فلسطين) عن نفسها على حسابها الرسمي على تويتر. أكثر من 600 فنان من مختلف أنحاء العالم، من بينهم عضو فرقة الروك البريطانية الأيقونية «بينك فلويد» رودجر ووترز وفرقتَا The Roots and Arcade Fire وRage Against the Machine وباتي سميث...، وقّعوا رسالة مفتوحة داعمة لحقوق الفلسطينيين، في ضوء العدوان الوحشي الذي شنّه العدو الإسرائيلي على قطاع غزّة في وقت سابق من الشهر الحالي وقد سبقته محاولات تهجير للفلسطينيين في القدس الشرقية ما زالت مستمرّة حتى اليوم.

وجاء في نصّ الرسالة: «اليوم، نتحدث معاً ونطالب بالعدالة والكرامة والحق في تقرير المصير للشعب الفلسطيني وكل من يحارب السلب الاستعماري والعنف في جميع أنحاء العالم». وشدّد الموقّعون على أنّ «السكوت ليس خياراً متاحاً في وقت أزهقت فيه آلة الحرب الإسرائيلية الأسبوع الماضي حياة أكثر من 245 شخصاً في قطاع غزّة المحاصر... وفيما سكان حي الشيخ جرّاح في القدس المحتلّة يتعرّضون لضغط مستمرّ من أجل إخلاء منازلهم... وفيما ملايين اللاجئين الفلسطينيين لا يزالون محرومين من حقّ العودة»، داعين أسماء بارزة في المشهد الفني العالمي لحذو حذوهم: «ندعوكم للانضمام إلينا في رفض تقديم عروض في المؤسسات الثقافية الإسرائيلية المتواطئة، والوقوف بحزم إلى جانب الشعب الفلسطيني وحقّه الإنساني في السيادة والإصلاح... نعتقد أنّ هذا أمر حاسم للعيش في عالمٍ خالٍ من الفصل العنصري والأبارتهايد».

وفي سياق رسالتهم، أكّد الفنانون أنّ «الحكومة الإسرائيلية تقود مشروعاً استعمارياً استيطانياً قائماً على التطهير العرقي للفلسطينيين»، مشيرين في الوقت نفسه إلى ضرورة أن «تتوقّف التركات التي يشكّلها الاستعمار عن العنف العنصري... ندعو جميع الحكومات إلى وقف تمويل جميع الموارد والتكنولوجيات التي تدعم الكيان الإسرائيلي وجرائم حربه». وختمت الرسالة بعبارة: «الحرّية لفلسطين». (رابط الموقع الإلكتروني متوافر على موقعنا)

ميساك ترزيان: معرض مؤقت

في الأوّل من حزيران (يونيو) المقبل، يحتضن فندق Arthaus البيروتي معرضاً مؤقّتاً يضم أحدث أعمال التشكيلي اللبناني ـ الأميركي المعاصر ميساك ترزيان (1949 ـ الصورة). الحدث الذي يحتوي على قطع فنية من سلسلتَيْ Rock وLandscape، سيستمر لغاية الثالث من الشهر نفسه. السلسلة الأولى، عبارة عن دعوة لمعاينة المناطق المحيطة بقمة جبل صنين. أما الثانية، فتقدّم عدداً من المشاهد بعين الطائر، ويوجّه من خلالها ميساك المتفرّج إلى العديد من الأماكن التي قد يعرفها أو لا يعرفها.

معرض لميساك ترزيان: بين 1 و3 حزيران ـ بين الساعة الواحدة عصراً ولغاية السادسة مساءً ـ فندق Arthaus (الجميزة ـ بيروت). للاستعلام: 71/907160 أو info@arthaus.international

«مهرجان السينما الأوروبية» «نوافذ» على الواقع

في إطار الدورة السادسة والعشرين من «مهرجان السينما الأوروبية» الذي تنظّمه في لبنان بعثة الاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي بالشراكة مع جمعية «متروبوليس»، وفي ظل الظروف الصعبة، يدعو الحدث صنّاع الأفلام المقيمين في لبنان (فوق 21 عاماً) لإنجاز أشرطة قصيرة حول موضوع «النوافذ». بحسب نص الدعوة، «قد تكون النافذة شيئاً ملموساً، أو منفذاً افتراضياً، أو تذكيراً بشاشة السينما أو وسيلةً للهروب إلى واقع آخر أو تصوّر أنفسنا في المستقبل». يجب ألا تتجاوز مدّة المشاريع الخمس دقائق، على أن تُعرض الأعمال المنتجة في شهر تشرين الأوّل (أكتوبر) المقبل خلال المهرجان. الموعد النهائي للتقديم هو 28 حزيران (يونيو) المقبل. (التفاصيل ورابط طلب المشاركة على موقعنا)

معرض Menart في باريس لبنانيون في فخّ التطبيع

على أعتاب 17 تشرين الأول (أكتوبر) 2019، توقّفت أعمال «بيروت آرت فير»، في نسخته العاشرة، لتدخل البلاد في أزمات اقتصادية وصحية متتالية. عوامل أسهمت في تأخير إطلاق النسخة الـ 11 من التظاهرة الفنية، لتجد القائمة على الحدث، لور دوتفيل، في باريس بديلاً من العاصمة اللبنانية. هكذا، كانت انطلاقة معرض Menart، أول من أمس، بمشاركة 70 فناناً، إلى جانب 22 غاليري، من بينها «مارك هاشم» و«صالح بركات» و«تانيت» و«وشريف تابت» من لبنان.

غير أنّ المعرض الذي يستمر لغاية يوم غدٍ الأحد، أثار جدلاً واسعاً، سيّما أنّ بطاقته التعريفية تذكر صراحةً الكيان الصهيوني ضمن البلدان المشاركة (مصر، تونس، سوريا، المغرب، فلسطين، الأردن، العراق، السعودية، قطر، الإمارات وإيران)، وتصنّفه ضمن «البلدان الشرق أوسطية». يأتي ذلك بعد أيام على المجزرة الإسرائيلية في قطاع غزّة، واستمرار محاولات تهجير الفلسطينيين من أحيائهم في القدس المحتلة.

الحضور اللبناني (يشمل أسماء كنبيل نحاس، سيمون فتال، حسين ماضي وأيمن بعلبكي وغيرهم)، يفرض تساؤلات ملحّة حول حدث يدرج الإسرائيليين جهاراً بين المشاركين فيه (ريبيكا بلاتنيك وريبيكا برودسكيس...). فهل جرى ذلك من دون علم الفنانين والغاليريات أم أنّ هؤلاء كانوا على دراية بالأمر وقرّروا غضّ الطرف، في وقت تعدّ فيه المقاطعة الثقافية والفنية سلاحاً أساسياً في الحرب مع العدو لعزله ووقف أنسنته وتلميع جرائمه؟

حاولت «الأخبار» الحصول على إجابة من الغاليريات الأربع من دون جدوى. غير أنّ أحد التشكيليين اللبنانيين المشاركين في Menart، أكد في اتصال معنا جهله التام بالمشاركة الإسرائيلية، موضحاً أنّ اختيار الأعمال التي سيحضر من خلالها تم بسرعة بعدما تقرّر نقل الحدث إلى باريس. وفي ختام المكالمة المقتضبة، شدّد الفنان على ضرورة اليقظة لدى المشاركة في الأحداث الفنية، خصوصاً تلك المرتبطة بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا، لأنّ «اللغم الإسرائيلي» سيكون موجوداً لا محالة: «يحرصون على إقحام العدو في كلّ شيء، وباتت المسألة أخطر من الماضي». من جهتها، أصدرت «حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل» في لبنان» بياناً دعت فيه «جميعَ الغاليريهات، والفنّانين والفنّانات اللبنانيين والعرب والإيرانيّين، وأنصارَ فلسطين والعدالة في العالم، إلى الضغط على إدارة المعرض لسحب «إسرائيل» منه. فهذا الكيان المجرم ليس، ولن يكون «طبيعياً» ولا جزءاً من نسيج هذه المنطقة. و«فنّه» لا يمكن، ولا يجوز، أن يبيّض صفحتَه الإجراميّة والتهجيريّة والعنصريّة». وتساءل البيان: «هل كان الفرنسيّون يقبلون مشاركةَ جنوب أفريقيا في معارض فنّيةٍ زمنَ نظام الأبارتايد (الفصل العنصري) في القرن الماضي؟ وهل «إسرائيل» اليوم أقلّ عنصريّةً من ذلك النظام، أمْ أنّها تزيد عليه في صفات التهجير والإحلال والقتل والمذابح، ودمُ أطفال غزة ومدنيّيها لم يجفّ بعد؟». وختم: «إذا لم توافقْ إدارةُ المعرض على سحب «إسرائيل»، فإنّنا ندعو كلّ الفنّانين والغاليريهات المشاركة إلى الانسحاب الفوريّ منه (...) فالفنّ لا يمكن، ولا يُفترض، أن يَغسلَ الدم!».

لم يعترض أحد من الفنانين اللبنانيين على المشاركة الإسرائيلية

الأخبار
al-akhbar
السبت 29 أيار 2021
العدد 4351 السنة الخامسة عشرة
Samedi 29 Mai 2021 nº 4351 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

(توماس ماكينزي ـ بريطانيا)

«ألف ليلة وليلة»

حرّة وكاملة... مفتوحة على الجسد

محمد ناصر الدين

إنه الكتاب الذي لا ينتهي، قال بورخيس يوماً عنه: «المرء يرغب في أن يضيع في ثنايا «ألف ليلة وليلة»؛ لعلمه أنه إذ يدخل في هذا الكتاب، سيكون في إمكانه أن ينسى بؤس مصيره الإنساني؛ ويدخل في هذا العالم، هذا العالم المكون من عدد من الوجوه التي بعضها نمطي وبعضها متفرّد فرداني».

فتنة الحكاية ورهبتها، واعتراف بسحرها وسلطتها... «قيل إنه ليس بوسع أي أحد قراءة «ألف ليلة وليلة» من أولها حتى آخرها من دون أن يموت. ليطمئن القارئ: إنه لن يموت بسبب «الليالي»، لكونه لن يتمكن، وإن رغب في ذلك، من إتمام هذا الكتاب المتشظي الذي يُعتبر متناً يضمّ عدداً لا يُحصى من المخطوطات والطبعات والترجمات والإضافات والشروح والكتابات المُعادة. وسيظل هناك أبداً نصٌ آخر من «الليالي» قابلاً للكشف والقراءة. إن الإدانة المتطيرة تتلاشى داخل تعرجات كتاب عُدّ بحق، كتاباً لانهائياً... لا يُقرأ هذا الكتاب كما تُقرأ سائر الكتب. بداخله شيء ما سحريّ وإذن مرعب. وهو في ذلك يشبه الكتاب المسجل به مصير كل فرد على حدة، لتكون نهايته تلتقي مع لحظة موت القارئ. بهذا المعنى، فإن الموت هو ثمن القراءة، أي ثمن الحياة» يقول المفكر المغربي عبد الفتاح كيليطو في مقدمة «العين والإبرة». طبعة فاخرة جديدة وكاملة بدون حذف من «ألف ليلة وليلة» صدرت أخيراً عن «دار أشور بانيبال» العراقية من تحرير زياد كاظم ومراجعة الناقدة موج يوسف. طبعة تنضم إلى الطبعات اللانهائية والإضافات للكتاب الذي أولّ ما ظهر في أوروبا في الترجمة الفرنسية التي قام بها أنطوان غالان (1646-1715) في 12 مجلداً ظهر منها اثنان بعد موته (1704-1717). غالان الذي كان قصّاصاً موهوباً بصيراً بالقصة الجيدة بارعاً في إعادة رواياتها، كان قد بدأ بترجمة قصة السندباد البحري من مخطوط أصله غير محقق، ثم عرف أنها جزء من مجموعة كبيرة من الحكايات اسمها «ألف ليلة وليلة». ابتسم الحظّ لغالان بعد ذلك بأن جاءته من الشام نسخة خطّية لهذا الكتاب في أربعة مجلدات، وهي أقدم النسخ المعروفة وما زالت المجلدات الثلاثة الأولى محفوظة في المكتبة الأهلية في باريس. أما المجلد الرابع، فكان مصيره الضياع. في عام 1709، يصادف غالان حنا الحلبي، تاجر جاء به إلى باريس بول لوكا، فأدرك في الحال أنه لقيَ قصّاصاً ماهراً. أخذ حنا يحكي لغالان حكايات أكمل بها مجلداته الأخيرة. حكايات يرقى الشك إلى انتسابها الحقيقي لـ «الليالي»، فسمّيت لاحقاً «الليالي العربية المزورة». أولى الطبعات العربية لكتاب «ألف ليلة وليلة» هي «طبعة بولاق الأولى» وهي طبعة عربية كاملة طبعت عام 1835 عن مخطوط «عثر عليه في مصر» في المطبعة الأميرية التي أنشأها محمد علي باشا في بولاق قرب القاهرة. أما «طبعة بولاق الثانية»، فقد صدرت عام 1863. وهاتان الطبعتان عيّنتا النص المعتبر لكتاب «الليالي»، وصدر عنهما كثير من الطبعات الشرقية بنسخ بعضها مهذّب أو منقّح قامت الرقابة الدينية أو السياسية والاجتماعية بحذف ما وجدته يمسّ بثالوث الدين والسياسة والجنس. أخرجت مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت طبعة أخرى للكتاب معتمدة على أحد المخطوطات المصرية بعدما هذّبت عباراته، وأصدرته في خمسة مجلدات بين سنة 1888 وسنة 1890. وأُرسِلَت نسخة من المخطوط المصري إلى الهند لتصدر «طبعة كلكتة الشهيرة» في أربعة مجلدات بين سنة 1839 و1843. ومن النسخ المصرية أخذت جميع الترجمات الغربية الحديثة.

لم يُعرف للكتاب العجيب مؤلف واحد، إذ تكوّن على اليقين من أعمال مستقلة ونما بالاتفاق على توالي الحقب، ويكمن رصد أولى الإشارات عنه في التراث العربي عند المسعودي (896-957م)، حين عرض في «مروج الذهب» لأخبار شداد بن عاد ومدينته إرم ذات العماد: «إن هذه الأخبار موضوعة من خرافات مصنوعة، نظمها من تقرّب من الملوك بروايتها، وإن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة من الهندية والفارسية والرومية، مثل كتاب هزار أفسانة، والناس يسمون هذا الكتاب «ألف ليلة» وهو خبر الملك والوزير وابنته شهرزاد وجاريتها دنيازاد». وإشارة تاريخية ثانية تقول بوجود الكتاب في مصر في عهد الخلفاء الفاطميين. فقد ذُكر في كتاب ألفه القُرطي في تاريخ مصر على عهد الخليفة العادل (1160-1171م).

ستلتقي في بحر «ألف ليلة وليلة» كل روافد الحكاية: الأسماء والنظم الفارسية القديمة، ادماج قصة في قصة كما في «المهابهاراتا» الهندية، حياة الطبقة الوسطى البغدادية ومأزقها حين تنشأ مشكلة من مشكلات الحب يكون حلها على يد الخليفة وتطعيم هذه الحكايات بالشعر بحيث ترد أبيات من شعراء كثر ذكرهم فيه كأبي نواس وابن المعتز وإسحق الموصلي، أو الخيال الفنتازي في حكايات الصعاليك والجن والسحر والبحر وهي مؤثرات مصرية ويونانية وكابالية يهودية، وصولاً إلى لمسات أخيرة وُضعت أواخر عصر المماليك يتم فيها ورود أسماء صحيحة لأماكن في القاهرة المملوكية ويقترب السرد في لغته في كثير من الوجوه من اللغة المصرية الدارجة. يقال بأن العرب قد زادوا الليلة بعد الألف لتطيّرهم من الأعداد المزدوجة، لكن الكتاب العصي على الحصر يغري القارئ ضمنياً أن يستغل تلك الليلة الزائدة لفتح الأفق، لكتابة حكايته هو، كما تفعل شخصيات «الليالي». كتابة لو كانت مهددة بالنفي والشطب والحذف، فلتكن كما يقول كيليطو كتابة حرّة وكاملة ومفتوحة على الجسد، «وإن اقتضى الأمر، ويا للرهبة، على طرف العين».

حوار

ممدوح عدوان.... «الفارس الخاسر» منتسباً إلى حزب الجوع

كان محمود درويش قد اختزل صورة ممدوح عدوان (1941- 2004) بقوله: «مثل عازف يحتار في آلة موسيقية يتلألأ.. لم أقل لك أن واحداً منك يكفي لتكون عشيرة نحل تمنح العسل السوري مذاق المتعة الحارقة». لكنّنا لن نتوقف عند هذه المرثية وحدها، وربما بسببها سنجد مرايا أخرى في تظهير صورته كلما ناى في الغياب. ذلك أن الميراث الذي تركه صاحب «يالفونك فانفر» ينطوي على روح متمرّدة وعصيان أصيل، وبسالة استثنائية «اكتشفت أنني كنت أكتب - دون كيشوت- طوال حياتي. قوة التصدي الفردية لعالم ينهار لأن القيم فيه تنهار، والاكتشاف الأخطر هو إلى أي حد كنت أنا أيضاً دون كيشوت، حين أنبري لمعالجة عطب عصري بالكلمات» يقول. لم يتوقّف هذا الوتر المشدود إلى اقصاه في قوس الكتابة عن أشكال الحوقد بمعارك ضارية، ومشاغبات لزعزعة المياه الراكدة، داعياً إلى تمجيد الجنون، قبل أن يغلق القوس بأكثر كتبه عمقاً «حيونة الإنسان» كاشفاً عن تطوّر مراتب البهيمية، والعسف، والتنمّر، والطعنات التي نالها الكائن الهشّ، في وضح النهار. الآن، ستبدو المهمة أصعب، في حال قرّرنا فحص تضاريس 90 كتاباً، في الشعر والرواية والمسرح والترجمة والبحث والدراما، أودعها صاحب «ليل العبيد» المكتبة العربية؟ لكن من يعرف ممدوح عدوان عن كثب، سيكتشف أهمية حضوره كموقف في أكثر المنعطفات إشكالية. فهو صاحب العبارة المشهورة «الإعلام الرسمي يكذب حتى في النشرة الجوّية». كما سيحيلنا إلى عبارة أكثر صميمية وردت في روايته «أعدائي»: نحن لا نتعوّد يا أبي. إلا إذا مات فينا شيء. تصوّر حجم ما مات فينا، حتى تعوّدنا كل ما يجري حولنا؟». من جهتها، تحاول نهلة كامل في كتابها «ممدوح عدوان: الفارس الخاسر» الذي سيصدر عن «دار التكوين» قريباً، استعادة صورة الشاعر بالطول الكامل، بالاتكاء إلى حوارات كانت قد أجرتها مع صاحب «تلويحة الأيدي المتعبة» في فترات متباعدة، بالإضافة إلى شهادات عنه، وقراءات نقدية في أدبه. بكشاف نقدي عميق يضيء أبعاد هذه التجربة، وتأصيل نسبها إلى «حزب الجوع» في المقام الأول. بعيداً عن الأيديولوجيات الجاهزة، إذ لطالما «استرشد بغريزة العدالة، وتسلّح بشجاعة البراءة، وصفاء الذات، والحق في الحلم». هو الذي اعترف بقوله: «الصراخ سلاحي الوحيد. ساشحذه واتقن استخدامه حتى يشقّ حنجرتي». هذا العويل إذاً يخصّ شخصاً استثنائياً. لم يرتبك وهو يجرّب أدوات كثيرة، لإيصال صوته من الصنبر العالي، إلى الغرف المغلقة، في بلاد اعتادت النبرة الخافتة في مواقف كثيرة. تحتاج إلى شجاعة المثقف. وبسالة الصوت المنفرد. واقتحام الدروب «القشف» مهما كانت وعرة. فالعدالة بالنسبة له لا تأتي بالتقسيط. إنما بالمطلق. هنا مقتطفات من الكتاب:

تقديم واختيار **خليل صويلح**

كيف أكون متمرداً

لا أعد بكشف أسرار شخصية لدى ممدوح عدوان، فالواضح المباشر، الصادم، الخطابي، كان يعلن أسراره بنفسه من منابره العديدة، حتى ليبدو بلا أسرار.

وإذا كان لكل كتاب أسراره، فإن علاقتي الإعلامية والأدبية ثم الصداقة الشخصية، جعلتني الاحظ ثم أدرك أن له أسراره الإبداعية الخاصة، وراء كل هذا الوضوح في الممارسة والإعلان بالنبرة العالية حتى الصراخ، وأن أن يخرج منه بوضوح مفاهيمي يقيني، للإجابة عن سؤاله المزمن: - كيف أتمرد، كيف أطلب العدالة، وأقدم للمتلقي مفاهيم مسؤولة ونظيفة وواضحة من ماسيه في الحياة وطلب التغيير؟

إن اعتماد صاحب «طيران نحو الجنون» على ما يسميه الذات الصافية للمبدع كي يرى، وشجاعة البراءة كي يتمرّد لم يعد سراً، بل أصبح لدى المثقفين والنقاد أداة مقاربة، ومنطلقاً معروفاً للمعارك التي يخوضها «وكانت تبدو ضرورية نتيجة الوسخ الذي حولي، ما كان يملأني برغبة في التنظيف» كما يقول.

وكذلك تشكله القومي ورفضه للاستعمار والاستغلال والصهيونية، وقناعته بأن الفكر الماركسي لا يزال مناسباً لهذا الزمن الراهن، بات من تراثه المكرّس.

شخصياً انتبهت إلى سرّه هذا، عندما سمعته يقول لأول مرة «أنا أسير في أرض (قشق) أي وعرة وغير مطروقة». وهذا ما يستدعينا سؤاله عن فكرة التمرّد في القرن العشرين، يجيب «إن فكرة التمرد ظاهرة ولدت مع الإنسان، وليست مرتبطة بالقرن العشرين، هي موجودة في الشعر العباسي ولدى المتنبي وأبو تمام وأبو نواس، ولدى ابن رشد في الفلسفة. وقد رأى عباس محمود العقاد أن «من الواجب أن نثور على أدب الموافقة، وكان طه حسين «في الأدب الجاهلي» ونجيب محفوظ في «أولاد حارتنا» من أوائل المتمردين الذين أعادوا إنتاج التاريخ العربي والإسلامي في القرن العشرين الذي شهد تيارات عبثية ووجودية وماركسية تنضوي تحت مفهوم التمرّد، بل لقد أصبح موضة في بلداننا، ألم يكن كولن ويلسون «اللامنتمي» بارزاً في الوطن العربي مثل الهيبز والبيتلز بينما كان مغموراً في أوروبا؟»

سلحفاة موديل 1941

عزّز ممدوح عدوان مبدأ النفور الإيديولوجي الساخر في حياته اليومية، فاقتنى سيارة فقيرة وقديمة موديل 1941 (تاريخ ميلاده)، ومضحكة المظهر. سلحفاة «فولكسفاكن»، وفاقعة الألوان، حمراء بنقط سوداء، كان يسير بها في شوارع دمشق، وكأنه يشتم سيارات المرسيدس والـ «بي. إم» والبورش التي اكتظت بها المدينة في النصف الثاني من القرن العشرين، ويقيم بهذا مقارنة بين بطر الفاسدين وحديثي النعمة والمسؤولين السلطويين وبين تقشف أبناء الشعب.

ولا تزال هذه السيارة حتى اليوم أمام بيته، ماركة مسجّلة تعلن الموقف ذاته، ويتضامن معها العابرون بالتصوير إلى جانبها للذكرى.

صوتي من راسي

> فكّك حيونة الإنسان إلى ظواهر واقعية ملموسة، وحقائق عاشتها البشرية بعدما ترسخت في الماضي قبل الحاضر

خرمش عدوان ثلاث مرجعيات سلطوية: الدينية، والعرفية، والسياسية، في مسرحيته «ليل العبيد» (1976)، التي مُنعت بعد عرضها الأول، على «مسرح الحمراء» في دمشق، بوجود النقاد والصحافة وشخصيات سياسية وحزبية بارزة، وقد علّقتْ آنذاك «ربما لأنك من أنصار «انظر إلى الوراء بغضب» المسرحية الشهيرة للكاتب البريطاني جون أربورن؟ فأجاب قبل أن أتم جملتي «بل من أنصار انظر إلى الماضي، والحاضر والمستقبل بغضب». لم يكن يحبّ الالتفاف على التمرّد والغضب والدعوة إلى التغيير في أسلوبه الإبداعي الواضح، ولا التستر وراء الشعارات الجاهزة، والحركات المرحلية، والحدود المرسومة، بل أراد تحديد بوصلته بنفسه إلى أبعاد طليقة، فكانت علاقته مع جمهوره حرّة، ومع موضوعه واضحة بلا غموض أو تأويل.

وتحت عنوان «كان صوتي من راسي» الشعبي المفهوم، النخبوي الدلالة، مارس غضبه ومبدأه وخلقه، وقد غادر ممدوح عدوان الأحزاب التي تقاسمت الساحة السياسية بأكبر، إنما ليتقاطع معها في الأهداف القومية والثورية والتحررية في سوريا والوطن العربي والعالم، وكان بهذا الموقع المتحرر من الاستراتيجيات المفروضة، والتكتيك السياسي المتحول، يختار الحرية الفكرية والعدالة الشعرية، والحق الأدبي الذي أعلن من فوق منبر، أن نكسة حزيران لم تنته، مضيفاً من تيار النقد الذاتي للهزيمة «الأنكى من ذلك، كان المواطن العربي مقموعاً إلى درجة أن الحكومات كانت قادرة على منعه من الكلام». وأثر، بعد حزيران أن يكون صوته من رأسه، وبقي كذلك طوال عمره، فقد ترك الأدب، وقد كان معظم أصدقائي من العراقيين لأنهم يغنون. فالغناء بوابة أخرى من بوابات الروح، ومنها تستطيع التواصل مع الآخر، وفي العمق، والذي تستطيع أن تضحك معه، أو تغني معه، هو الذي يمكن أن يكون صديقك في المستقبل».

كان مستنفراً طوال حياته للبحث والاطلاع والمبادرة، فقد أدرك أنه يسير في أرض «قشق» كما كان يقول، أي غير مطروقة أو ممهدة، فوجد نفسه مطالباً بتطوير العقل المعرفي لوعيه كشاعر، والبحث دوماً في حقائق التراث العربي والإنساني، والاطلاع باللغة الإنكليزية على أهم تجارب الفكر والأدب، الأمر الذي دفعه لمشاركة القارئ تجربته بالترجمة، والذاتي الذي جعله يجري محاكاة وحوارات وإحالات مع نفسه أولاً، كي يتمتع منجزه بالعدالة الشعرية التي يقصدها، بحسب قناعاته الفنية والإبداعية، والذي حوّله إلى محترف ثقافة يقرأ ويكتب ويترجم حوالى عشر ساعات في اليوم.

مسرح يهدم ويبني

أراد صاحب «حال الدنيا» تقديم مسرح طليعي، استند في تجربته الأولى إلى إعادة تأليف مسرحية «في انتظار غودو» للكاتب الإيرلندي صموئيل بيكيت.

وقد عالج في تجربته مفهوم العبث في الواقع العربي، حيث وجد أن «الانتظار في حياتنا يلقي ظله على كل التفاصيل، وأن للانتظار مؤسساته، والمنتفعين منه، والمخدوعين به، وضحاياه، وأن هناك وجوداً كاملاً قائماً على الانتظار». ولم يقدم انتظار بيكيت معدّاً بل مؤلفاً، وقد فسر علاقة مسرحيته بمسرحية بيكيت بقوله: «كالعلاقة بين بناء يقوم إنسان بتهديمه ويبني من حجارته مصنعاً». وربما كان إيمانه بأن المسرح فن قادر على تحليل ومناقشة الظاهرة السياسية وإعادة قراءة التاريخ والتراث من منظور منطقي آخر، هو ما دفعه إلى التأليف المسرحي، وسنجد في أعماله الأولى مثل «كيف تركت السيف» و«ليل العبيد» و«محاكمة الرجل الذي لم يحارب» صدى قصائده المتمردة في بداياته الشعرية.

«دون كيشوت» هافانا

يروي ممدوح عدوان مشاهداته أثناء زيارته كوبا (1984) بقوله: «في العاصمة هافانا رأيت بغتة تمثالاً مذهلاً لدون كيشوت على ظهر جواده، وبيده رمحه، إنها الصورة المثالية لدون كيشوت، ولكن هذا التمثال كان محبوكاً من الخيزران، وقد أعطاه الخيزران قوة لا يمكن توقعها، إن قضبان الخيزران قد استطاعت إظهار عضلات الحصان بشكل لم يسبق لي أن رأيته في تمثال آخر، ثم انتبهت إلى دون كيشوت، ولأول مرة يبدو أمامي نحيلاً وقوياً وليس هزيلاً، ونحوله نحول شخص له عضلات وأعصاب متوترة، وهي أعصاب توحي بالعزم والقوة والإرادة والفحولة، نعم إن دون كيشوت الذي رأيته هناك هو صورة الرجل المثالي كما أراه، الرجل المثالي في مواجهة قدره وأي قدر؟ إنها المواجهة المستحيلة مع أخطاء العالم، وهو مدرك عظمة المسؤولية، وجسامة المواجهة، كأنه يريد القول: لا بدّ لي من المواجهة وليكن ما كان الثمن، وينطبق على هذا الموقف ما جاء على لسان هاربرلي: ليست الشجاعة في الحرب وحدها بل في أن تبدأ شيئاً تعلم أنك الخاسر فيه».

«حيونة الإنسان» أنثروبولوجيا مضادة

يستند صاحب «القيامة» إلى أهم الأعمال الإنسانية الوضاءة، وتجارب مفكرين وأدباء عرب وعالميين، ويدرس الية «حيونة الإنسان» في فصول متعددة، وتحت عناوين مظاهرها في الحياة البشرية الواقعية، فيصيغ منها أنثروبولوجيا مضادة لتاريخ السلطات القمعية.

ويوصف حالة حيونة الإنسان تحت عناوين تأملية (ورطة الإنسان الأعزل، هل نحن جلادون، صناعة الإنسان.. صناعة الوحش، ولادة الوحش بين الجلاد والضحية، القامع والمقموع، مسؤولية الضحايا، الجلاد الذي ينتقم من ماضيه، السلطة والتنمر، السلبطة السلطوية والشبيحة، الأخلاق المقموعة، مجتمع المقموعين أصل العنف، الدولة القمعية، الدين والحكم، الأنتي يوتوبيا، الحاشية، قلت للطاغية، الديكتاتور).

وتظهر العناوين السابقة إنّ تأمله لم يكن ابتعاداً عن الجمهور، بل إنه كان يفكك حيونة الإنسان إلى ظواهر واقعية ملموسة، وحقائق عاشتها البشرية بعدما ترسخت في الماضي قبل الحاضر، وقد جعل عناوينه عالية النبرة، كعادته في التوجه إلى قارئه، وصرخة احتجاج قبل أي هدف آخر. إنه يرفع الصوت مع جورج أورويل، في روايته الشهيرة «1984»، «لا تدعوا هذا يحدث لكم، الأمر متوقف عليكم».

ويشير إلى أهمية فهم الذعر الذي أصابه من تحويل الإنسان إلى آلة أيضاً، ومن الأنظمة التي عملت على اعتبار أن الإنسان يمكن تحويله إلى آلة، كما حدث في رواية جورج أورويل «مزرعة الحيوانات»، ورواية يفغيني زامياتين «نحن» وهي أيضاً قصة هجائية تروي تحوّل الإنسان إلى آلة.

وحول تحوّل الإنسان بفعل قمع الحاجة والسلطة، يستشهد بالمسرحية الشهيرة «الرجل الذي صار كلباً» للكاتب أزوالد دراغون، التي غرضت في سوريا مراراً، حيث يتحوّل العامل العاطل عن العمل إلى كلب بعدما قبل بتأدية وظيفة كلب لدى رب العمل.

وإذا كانت المجتمعات الصناعية تحوّل الإنسان إلى وظيفة، فإن كتاب «جغرافية الجوع» لجوزيه دي كاسترا، وهو خبير تغذية في الأمم المتحدة يحذر: «إذا تسلط الجوع التام على الإنسان صار سلوكه من العنف مثل سلوك الحيوان تماماً، فالجوع يهدم الشخصية، ويقضي على التجاوب الطبيعي بين الإنسان، وجميع مؤثرات البيئة التي لا تمت بصلة إلى إشباع غريزة الأكل، أما العوامل الأخرى التي تصوغ السلوك البشري، فلا يبقى لها أثر». وقد كتب دي كاسترا رواية حول حالة الفقر والجوع التي أوصل الاستعمار الناس إليها، وأبقاهم فيها، تحت عنوان «الناس والسراطين» حيث يتصرف الناس الجوعى، مثل مجموعة من السراطين الجوعى.

إن النماذج التي استند إليها ممدوح عدوان، تجعل نقطة الاستقطاب التي حددها «حيونة الإنسان» رؤية عامة، وليست خاصة بكاتبها. فاستطاع التحرك بسهولة في مجتمعات القمع و«السلبطة» التي يسيطر عليها الطغاة والديكتاتوريون، وإلى جانبهم عصابات الفساد والتشبيح والتنمّر. ومؤسسات السيطرة الاقتصادية والأمنية والثقافية، ولعلها المرة الأولى الأكثر وضوحاً في كتاب عربي يناقش الظاهرة لا النموذج الفردي. يحدد صاحب «قفزة في الهواء» الاتجاه التراجيدي المتوجش الذي يسير إليه العالم كظاهرة، بأقلام مفكرين وأدباء عرب وعالميين، ولا يدّعي أنه يرسم للخروج اتجاهاً واحداً واضحاً، متفادياً الخوض في الإيديولوجيات المتداولة والشعارات السياسية المستهلكة.. ويقدم التوصيف والإدانة على سبيل المثال، لدى: طاغور، سارتر، غاندي، الكواكبي، سوفوكليس، البرتو مورافيا، هيرمان هيسه، ميشال فوكو، جاك لندن.

ويقول إيريك فروم في هذا المجال: «إن الإنسان يختلف عن الحيوان في حقيقة كونه قاتلاً، لأنه الحيوان الوحيد الذي يقتل أفراداً من بني جنسه، ويعذبهم دونما سبب بيولوجي أو اقتصادي لقد دلت الأبحاث والتجارب، براي عدوان، إلى أن ما نصفه بالوحشية هو سلوك خاص بالإنسان». يوضح فروم أيضاً: «إن التجربة الإنسانية في هذا الاتجاه تسير في التوحش لأن السلطة فيها تؤدي إلى تحويل الإنسان الحي إلى جثة، ومن ثم إلى شيء». وفي كتابه «الخوف من الحرية»، يضيف فروم «إن دوائر النهب الاستعماري القديمة والحديثة بشكل المؤسسات الدولية، والدول القمعية والحروب العالمية والأهلية، وحالة الفقر والجهل والتخلف التي عاشتها المجتمعات الإنسانية، والتي ترافقت بالظلم والقهر والاستعباد والاستغلال جعلت الظروف الإنسانية تنحط إلى حالة الحيونة».

لا يضع ممدوح عدوان هذه الظاهرة في مجتمع أو إيديولوجيا أو عقائدية واحدة، وإلا لما كانت سيطرت على العالم بأكمله، بل يراها نتاج اتجاه إنساني تاريخي، ولا عند مهب تراشق التهم السابقة بين النظامين الشيوعي والرأسمالي، كما يؤكد أن التشوهات التي أصابت الفرد والمجتمع كافة كانت من تغشي القمع والمؤسسات القمعية التي تشيع العنف بكل مظاهره، وأنها ستترافق مع مؤسسات إعلامية وثقافية ترسخ هذا الاتجاه. ويقول أرنر سالزبورغ، مدير مؤسسة صحيفة «نيويورك تايمز» مبيناً أثر الإعلام: «أحجب المعلومات الصحيحة، عن أي إنسان، أو قدمها إليه مشوهة، أو ناقصة، أو محشوة بهذه الأمنية: «أنا ما بدي شي من الدنيا، إذا عشت وانقلبت خيمة كراكوز هذه، يعني تغيير الأوضاع السياسية، ما بدي إلا أن أكون سجّان هؤلاء المجرمين، وقتها يا لطيف على النجوم بعز الضهر».

ويرى عدوان أن الاتجاه الذي تطورت به عملية الانحطاط الإنسانية إلى الحيوانية، كان متلاحقاً ومتسلسلاً بوجود الطاغية أو الديكتاتور ليقدّم تحليلاً قل مثيله في التأمل والمنطق والموضوعية بل والشجاعة في الكتب العربية، فيقول: «إننا منذ الثقافات البدائية، حتى ديكتاتوريات القرن العشرين، لا نزال وثنيين في تعاملنا مع الحاكم، وما زلنا نراه إلهاً، أو ابن إله، أو ظل إله، أو ذا صلة بإله ما، أو على الأقل ما زال هو راغباً في أن يقدم لنا نفسه على أنه إله أو من سلالة الآلهة».

رفض ما كرّسه التاريخ

يكتب ممدوح عدوان ليرفض بقلمه ما كرّسه التاريخ، ويواجه ما تفرضه الأحداث القاسية على المواطن السوري والعربي، لهذا فإن عالمه الأدبي كان دوماً طازجاً وجديداً ويقوم على مفاهيم فكرية واجتماعية وسياسية مختلفة.

وإن كان علينا أن نفهم تلك السهولة والغزارة والانسجام التي يتدفق بها إنتاجه الأدبي ليرسم عالماً أدبياً خاصاً موازياً للواقع المعاش، لكنه يختلف عنه بمفاهيمه وأفكاره، فإننا نلاحظ أنه ببساطة ينظر إلى الواقع من زاوية مختلفة يفسرها بقوله: «إن الفقراء يغيّرون الصورة من أساسها، لأنهم ينظرون إليها من موقع آخر، ومن زاوية أخرى».

نظر إلى الواقع من زاوية مختلفة فسّرها بقوله: «إن الفقراء يغيّرون الصورة من أساسها، لأنهم ينظرون إليها من موقع آخر، ومن زاوية أخرى»

فصل من رواية

شامة والشمس (*)

عبد الهادي السعيد **

كان أبريل على الأبواب يومَ نطق قاضي الأسرة بالحكم. أمسكت بشهادة الطلاق وتمشّيت طويلاً في جوّ صحو. كانت البرك المائية قد غزت الشوارع خلال موسم الأمطار، وقبل أيام تبخرت فجأة كما تتبخر الكوابيس مع نور الصباح.

مررت بضلع حديقة مسيجة، وفي لحظة، أقلع رفّ طيور من على شجرة أكاسيا وحلق بعيداً، تاركاً رجفة خاطفة وراءه في الهواء، ما لبثت موجاتها المتصادية أن تبددت في كل اتجاه. ذرعتُ شارعاً ضيقاً تحدّرت منه إلى ساحة تتوسطها نافورة. رأيت صغار الأطفال يتقافزون ويملؤون الدنيا بضحكهم الرنان. كان ثمة سرب فتيات يتهامسن. كنّ متخففات من ثياب الشتاء.

اسمي خالد الهلالي. ولدت يوم 5 نوفمبر 1975. في منتصف ذلك النهار، انتزعتني من رحم أمّي انتزاعاً مولّدة طيبة لكنها صمّاء. أتصور أنها لم تسمع زعيقي، مثلما لم تُصبْ قبله شيئاً من صراخ زبونتها المتوجّعة. أقدّر أنها عاينت فحْسبُ حركة فمي المهتاجة، فنَدَت عن وجهها ابتسامة رضا، قبل أن تسلّمني إلى أمي المتصببة عرقاً، كما يسلّم طرد بريدي نفيس.

بعد غروب شمس نفس اليوم، ظهر الحسن الثاني على شاشة التلفاز، ببذلته الصارمة الزرقاء، والقى خطابه على أبي وأمي وإخوتي ووسط الكل أنا داخل مهدي الدفئ: «علينا أن نقوم كرجل واحد، بنظام وانتظام»...

لم يكن النظام ولا الانتظام يوماً سمتي المميّزة. يكفي إلقاء نظرة دائرية على زوايا مكتبي، أو، لمزيد من الاطمئنان، على حجرات بيتي في حي لقبيبات.

بيتي؟ ماذا أقول عن بيتي؟ لقد خيّم عليه الهدوء فجأة، ومساحته زادت على نحو مخيف. أما الربيع، فابتهاجي به لم يُعمّر.

نعتقد في البدء أن الطلاق والحرية جهان لعملة واحدة. لكن سرعان ما نعي أن تلك العملة مثلها مثل ورق أصحاب الكهف والرقيم. حين نستيقظ أخيراً من سباتنا ونذهب كي نُصرف حريتنا في سوق الحياة المصطخب، لا نجد أيادي صديقة تناولنا ما نريد، بقدر ما تصادف نظرات تحدجنا باستغراب لأن قطعنا المعدنية لم تعُد متداولة.

وجدت نفسي وحيداً مع حريتي الجديدة التي طالما تمنّيتها، لا أعرف ماذا أصنع ولا كيف أتصرف. حننت إلى جاهليتي الأولى. جربت أن أخرج لمعانقة ليل المدينة المغري. فوجئت بكل شيء يبدو غريباً غير مألوف. البارات لم تعد بارات، المراقص لم تعد مراقص، بحثت عن ساقياتي الطيّبات فلم أجدهن، بحثت عن عمّ بلال، كان يشرب دوماً لوحده في الزاوية، اشتقت لابتسامته، كان يوزّعها بالتساوي من مكانه على الكل. أتراه مات؟ أم أنّ مرضاً مزمناً أقعده في عقر داره؟ شيئاً فشيئاً، تسلل إحساس بالوحشة إلى صدري، مضيت أتنقل كالتائه وسط أضواء بدّالٌ من طيفها، حتى ضوضاء الأمكنة تغيّر فيها شيء. كان نبرات دخيلة اخترقتها، كل معالم المدينة تلاشت، الموضة تحوّلت، موضة الشرب والرقص والابتسام والتثاؤب والكلام، كان في جعبتي في ما مضى عبارات غزل ومراودة أشهرها عند اللزوم بنوع من التوفيق، اليوم بدا كل ذلك كلغة ميتة، ولم يعد للأسف يثمر عن شيء يذكر.

ليل المدينة كان مغرياً بحق، لكني اكتشفت في المحصلة أني لهثت وراءه بلا طائل. حريتي جهاز إلكتروني متطور ضَبعتْ دليل استعماله، فصار يعبث باعصابي. سحقاً؛ إذا استمر معي على هذه الحال، سوف أضرب به غرض الحائط واستريح.

قلت في نفسي: الحرية تتطلب ممارسة يومية. هي لا تشبه ركوب دراجة هوائية مثلاً. فالواحد منّا يتدرب على قيادة الدراجة مرة واحدة في العمر، وحين يعود إليها، ولو بعد سنين، فما إن يضغط بقدمه على الدواسة حتى يدور الجنزير، فتنطلق به العجلتان في توازن تامّ. الحرية ناتيها كي تركب صهوتها بعد طول غياب، فلا تتردد في أن تطوّح بنا كيفل جامح. تلك قاعدة كونية، تحصل مع الأفراد والشعوب على السّواء.

طفقت أحوم لبعض الأيام. ثم ما لبثت أن اقفلت عليّ باب البيت وركنت إلى عزلتي.

عدا حالات الضرورة القصوى، لم تعد لي بعد انصراف يوم عملي الرتيب سوى بعض الانشغالات، إن لم أقل الحركات المعدودة التي أدمنتها، والدائرة في فلك مكتبتي وشاشة تلفازي المسطحة، كانت مثل عكاكيز أستند إليها في ليلي الأجدب، سعياً إلى ملامسة تخوم واحة النوم المتباعدة الأطراف. صرت بحق أعيش كبهيمة بدماغ مركّب، علقها الآداب العصرية والسينما العالمية والوثائقيات. حتى مخطوطي الذي كنت متحمساً لإكمال الاشتغال عليه، ظنا مني أن الوقت وحده كان ينقصني لذلك، صرت لا أقترب منه إلا ناماً. من جهتها، صلتي بالنساء غدت بيولوجية صرفة. قلبي الذي أضحى خشبياً كدولاب ناعورة صار يصّخ الدم بحياد تام. لقد نأى بنفسه عن نوازل العاطفة وتقلباتها. قرر ألا يراهن من جديد داخل كازينوها الأهوج، ولو بخفقة صغيرة واحدة. أو على الأقل، هكذا اعتقدت.

أقبل الصيف وأقبل معه رمضان. عمدت إلى إرجاء تاريخ عطلتي، اقتداء بغالبية زملائي الموظفين. والحال أن المسألة برمّتها لم تعد تعني ليَ الشيء الكثير. فأن يطول يوم رمضان أو يقصر، أن يصادف زمنُ القيظ أو أوانُ البَرد، أنا في حلّ من الأمر. ما دمت سأقضي عطلتي السنوية وحيداً، فأن أستفيد منها في عزّ الصيف أو مقتبل الخريف، لا فرق. لا فرق أن تتزامن إجازتي مع شهر الإمساك والتقوى، أو مع موسم خلع الملابس في المسابح وشواطئ البحار.

أكثر شيء غلبني على أمري نظام البيت. جاريت طوروفي ما أمكن لي أن أجاريها، ثم ذات صباح طفح بي الكيل. لم أجد بدّاً من إحياء أصرتي بشامة الخادمة. كان قراراً مصيرياً. كنت قد ألفت شيئاً فشيئاً غض الطرف عن امتلاء محيطي المباشر بأصناف من الفتات المبثوث ومتبقيات الطعام. ألفت حواشي البيتزا المقضومة وقناني الجعة المفرغة وعلب العصير المنطوفة ونثارات الفواكه والبسكويت. ثم جاء ذلك النهار. بمجرد ما فتحت عينيّ، لمحت قشرة بطاطا بنيّة بمحاذاة أنفي، ففهمت أنها قاسمتني السرير لتلك الليلة. أصابني هلع شديد. هالني ما صرتُ إليه، وأخذت تتراءى لي صور كابوسية صادمة جزت بعناية من عوالم التشرد والصعلكة لم يكن بطلها سواي. بعدها بقليل، قفز طيف شامة إلى ذهني. تبدّت في هيأة طوق نجاة. إنها بلا شك منقذتي الأثيرة من الضياع والاندثار. تذكرت فجأة صحن البطاطس المقلية الذي لم أفلح البارحة في إخراجه إلى الوجود. عاودني نفس شعور الخذلان القاسي الذي بطش بكياني ساعتها. كان الأمر محبطاً للغاية: عويدات البطاطا تفحّمت عن آخرها قبل أن تتجاوز حدود فمي، إذ كنت مستغرقاً في مشاهدة قرص مدمج مقرصن اسمه بوغافر 33، وهو فيلم ذاكرة يؤرخ لاستبسال رجال ونساء وأطفال آبت عطاً في مقاومة المد الاستعماري بداية الثلاثينيات. مع أني في الأصل، كنت أنوي قلي خمس أو ست سمكات موسى كانت منسية عندي في حجرة التجميد، لكني استصعبت تلك المهمة أيّما استصعاب، فاعدت حُوَيْتاتي فوراً إلى مرقدها في الثلاجة، وأقنعت نفسي باختصار العناء والاكتفاء بطبق بطاطا سريع فريء. علماً أن ما حفزني أكثر على اختياري ذاك هو كوني قد قرأت، في صباح ذات اليوم، خبراً عن دراسة علمية أنجزت بطلب من مجلس البطاطا البريطاني خلصت إلى أن البطاطا المقلية «تحسن المزاج وتبعث البهجة في النفوس وتهدئ الخواطر». فعلاً، لقد تحسن مزاجي.

وأنا أستعيض عن السمك بالبطاطس، لم أكن على وعي بأني أعود بالبطاطا المقلية إلى سيرتها الأولى. لم أفكر ساعتها في ذلك الصياد الوالوني الذي دأب على قلي السمك على ضفاف نهر المُوز، إلى أن جاء اليوم الذي تجمد فيه المجرى واختفى السمك فكان أول شخص يهتدي إلى فكرة تقطيع البطاطا ورميها في الزيت الحامية. الفرنسيون يصرون على أن البطاطا المقلية ظهرت أول ما ظهرت فوق جسور السين، بعيد الثورة الفرنسية، بل إنهم يعدّون البطاطا المقلية حجة من حجج العبقرية الباريسية. مهما يكن، فذلك الشخص الذي، في نهاية القرن الثامن عشر، ولأول مرة في تاريخ الجنس البشري، قذف بالبطاطا في زيت القلي، سواء أكان بلجيكياً أو فرنسياً أو من جزر القمر، ذلك الأخ اتضح جلياً أنه أشد حيلة مني مليون مرة. فبينما كللت تجربته الرائدة بالنجاح، لا ويْل فتحت الباب على مصراعيه لتقليد سعيد ما لبث أن غزا الكرة الأرضية على امتدادها، احترقتْ أنا بطاطسي بالكامل، وكل ما استطعت صنعه آخر المطاف هو قطع الغاز بامتعاض، ثم إغلاق باب المطبخ على جو دهني ثقيل محتقن بابخرة الزيت المحروقة السامة، كان الكثير منها للأسف قد تمكن من أن ينفذ إلى أخر زاوية في البيت.

حاولت أن أواسي نفسي ما استطعت، فاحتراق مقلاة بطاطس ليس نهاية العالم، لكن وقع الحادث على قلبي كان مدمراً. لم أشعر إلا وجفوني تبتل بدمع ساخن ما لبث أن انهمر على شفتي، ثم صارت الدموع تستحث بعضها، إذ كان تماسها مع لساني يذكّرني بطعم الملح الذي رأيت نفسي سلفاً وأنا أذره على البطاطس المستوية الشقراء، الضاربة إلى حمرة خفيفة، والتي كنت مثبت نفسي بقرقشتها في استلذاذ بالغ.

في الغد، وبعد خمس سنوات من الانقطاع، اعتزمت إذن دعوة شامة لاستئناف الخدمة. قصدت بيتها فور فراغي من عمل المكتب. علماً أني كنت أجهل كل شيء عن التزاماتها الراهنة وعن جدولها الزمني. ربما تكون قد غيرت مسكنها، أو انتقلت إلى حي آخر أو حتى مدينة أخرى، هذه أشياء تحدث. لعلها استبدلت وظيفة الخادمة باخرى أفضل منها، ولماذا لا تكون قد فازت باليانصيب، أو ملكت على عمّ أحد قوارب الموت في البحر المتوسط؟!

خمس سنوات، لا يجمعها إلا الفم، مضت كلمح البصر، واحياناً أخرى بدا فيها الوقت ثقيلاً، متلكئاً، لا يدير وجهه السمج حتى يرهق العصب، يقتل العرق ويزهق الروح. أشياء كثيرة حدثت. احتفلت بعيد زواجي الأول، اندلعت حرب تموز في جنوب لبنان، سُجن ابن شامة، مات زوجها، اكتشفت الناسا الماء في باطن القمر، أعدم صدام، مات بينوشي من تلقاء نفسه، صُدرت بلاي ستيشن 3، اندلعت حرب غزة في غزة، نال الجبل الأسود استقلاله عن الصرب، ثلت أنا استقلالي عن زوجتي، مات ثالث أخبر محاربي الحرب العالمية الأولى، ماتت آخر الناجين في ملحمة التيتانيك، حتى روز ماتت، ليس كيت ونسلت، بل كلوريا ستيوارت، أفلس «بنك ليمان برادرز» في أقل من ثلاثة أيام وهوى على أثره بعدها ظل واقفاً منذ سنة 1850، استبدلتُ كالون قفل البيت أربع مرات، قرأت كتباً كثيرة، لم أقرأ كتباً أكثر، حيّنت نظاراتي الطبية أربع مرات أيضاً، صارت الأرض أكثر ازدحاماً، صار الفيسبوك ثالث بلد من حيث عدد السكان بعد الصين والهند، صار الفضاء مكتظاً واصطدم قمران اصطناعيان في قلب السماء.

(*) الفصل الأول من رواية بالعنوان نفسه، صدرت أخيراً عن «دار مرسم» الرباط.

(**) عبد الهادي السعيد شاعر وروائي مغربي. ولد سنة 1974، في إحدى ضواحي مراكش. حصل سنة 1996 على «جائزة اتحاد كتاب المغرب» عن ديوانه الشعري الأول «تفاصيل السراب». يكتب باللغتين العربية والفرنسية. صدرت له سنة 2002 مسرحية عن «دار لارماتان» في باريس، تحت عنوان Infactus ou les mots décroisés. ومن دواوينه العربية: «لا وأخواتها» (2003)، «روتين الدهشة» (2004)، «الحدائق ليست دائماً على صواب» (2014)، «سِفر الوجوه» (2020). من ترجماته في الشعر: «قريني العزيز» لعبد اللطيف اللعبي (2015).

إلين كريمي ترنك ــ «الشمس حورية» (الوان مائية على ورق ــ 2019)

سرد

زمن الشرفة

شميسة غربي *

جالس على كرسيه المتحرّك؛ في الشرفة العريضة.. يستعد لِمَلْء رئتيْه بالهواء النقيّ.. يستعدّ ليعيش حكاية جديدة من حكايات الشارع الطويل، حيث البشرُ في ذهاب وإياب، تشتغِدُهُم الحركة، ويجْري بهمْ الزّمن بيْن مشاغل الحياة.. هذا صَاعد.. وذاك نازل.. هذا يائس.. وذاك أمل.. هذا أعمى.. وذاك بصير.. هذا عنترة.. وذاك أرْنبة؛ وبين هذا وذاك، وَقورٌ هادئُ الخطوات، مُشاغبٌ؛ نزق في مِشْيته؛ وكأنه يستعجل قوْضى الأشياء ليقطف راحته، ويَنْعَمَ في هذيانه؛ آخر، يُراقب المارّة؛ متى تحين فرصة السطو على حقيبة امرأة، أو جيوب شيخ طاعن في السنّ بعد أن خرج من مصلحة تقاضي المعاشات..

كعادته؛ ارتخى أيْمن وراح ينْظر إلى أفواج المارّة الذين يقطعون الشارع الكبير في اتجاهاتٍ مختلفة، وبهُمومٍ مُتناثرة..

بحَث بعَينيْه الواسِعتيْن عن «ندى الصباح» بين الأقدام المُتدفّقة؛ على أرْض؛ عدَدُ قبورها أضعاف عدد أحيائها؛ مدّ يدهُ إلى كأس الشايْ الدافئ وتناول حبّات من المكسّرات؛ يُمَلّحُ بها ريقه؛ فقد جفّفتْهُ جرعات الأدوية منذ شهور. عندما قرّبَ كأس الشاي منْ فيه؛ ظهرتْ «ندى الصباح» – كما كان يحلو له أنْ يُسمّيها – فتاةٌ من الأفارقة السّود؛ الذين غزوا هذه المدينة بأعداد مُعْتبرة.. حتى أصبحت المدينة تغُصّ بهمْ، فلا يكاد يخلو شارع أو حيٌّ منهم، وكأنّهم خطّطوا للتّوَزُّعِ المُنَظّم في أفْواج، تتناوب على مدار الأسبوع بين المحلات والأسواق والحدائق والمساجد وحتى بين المقابر يوم الجمعة، حيث يُلاحِقون زُوّار المقابر للفوْز بما يُتصَدّق به على الأموات.. ونجحوا في مسْعاهم، حتى أصبحت العلاقة بينهم وبين كثير من الزوّار؛ علاقة طيبة؛ دفعت بالطرفيْن إلى الاتفاق على اللقاء في الجمعة المقبلة، من أجل أخْذ التبرُّعات المختلفة: ثياب، أفرشة، أغطية، أوانٍ، حقائب بالية، بالإضافة إلى الصدقات الرئيسية؛ والمتمثلة في التمر والفطائر وقوارير الماء وبعض الحلوى للصبيان..

ظهرت ندى الصباح بلونها الأسود البراق؛ تحمل بين يديْها الصّغيرتيْن وعاءً بلاستيكياً تجْمعُ فيه الصدقات. ابتسم طرْباً وراح يتابع حركاتها وخطواتها وابتساماتها وقد لمعت أسنانها لمعاناً مُلْفتاً.. اليوم تغيّر لوْنُ الوعاء وحجْمه أيْضاً.. إنه بنفسجي وأكبر من وعاء الأمس. رأسُها الصغير، يَضُفّ مُغْطى بخمار مزركش، داعبتْ أطرافه أوتار البلي، فبهَتتْ ألوانه، وانسلّتْ خيوطه. كانت تتحرك في كل الاتّجاهات. تقطع طريق المارة وهي تبسط الوعاء أمامهُم، عندما تتوقف المركبات امتثالاً لإشارات المرور؛ يُهرْول الطيف المتحرّك.

منحوتة زنجية من البنين (أواخر القرن 19)

تمدُّ ذراعيْها الهزيلتيْن وهما تعانقان الوعاء البنفسجي داخل نوافذ المركبات، تفترّ شفتاها عن كلمات. تسقط بعض الصدقات في الوعاء. تُغافِلُ المارّة أو تُغافل اللحظة، ثمّ ترمي بالصدقات في جيب فستانها الطويل. حالُه من حال الخمار. صِنْوان في التّآكل، وانطماس اللون..

يُنْهي أيمن كأس شايه؛ رنّات هاتفه؛ تُلْهيهِ عن مُتابعة حركات الفتاة. ينظر إلى الرقم. إنها عمّتُه، تسأل عنه في كل حين. تتفقّد أحواله. يعرف مدى حبّ هذه العمة له. يعْرف مدى انشغالها بشأنه. أنْهَى أيمن المكالمة؛ بضحكة كبيرة، سببُها نُكتة جميلة حَكَتْها العمّة. فهمَ أنّها تريدُ أن تُخَفّف عنْه، وَدَعَها وهُوَ مُمْتنٌّ لها. وضع الهاتف جانباً، وبدأ يتابع حركات ندى الصباح في هذا الصباح المشرق. تظهر كالظلّ تارة، وتختفي بين الجموع تارة أخرى. تتسلل بين السيارات والشاحنات بقَدَمَيْن ونعلَيْن مُهْترئتيْن؛ تخرج منْهما أصابع طويلة، مُغْبَرّة، تُلامِسُ التّراب.. بانْشراح؛ تتفقّدُ الفتاة جيْبَ فستانها. تستشْعِرُ امْتلاءَهُ وربما ثِقَله. تضعُ يدها الصّغيرة بإحْكام على فتْحة الجيب. يُتابعُها بعيْنيْه الواسعتيْن، تغيبُ لفترة.. ينْتظرها حتّى تعود..

يُحدّثُ نفسه: «لعلّها ذهبتْ لتضع ما جمعتْ بين يديّ أسرتها. فعلاً إنها صغيرة ومسؤولة!» لحظات وتعود الفتاة. تعود ومعها طفلٌ لا يتجاوزُ الثامنة من عمره. يتأملها أيمن. يلاحظ أنها استبدلت النعليْن بشبشب أحمر قديم، يبدو كبيراً على مقاسها، تجُرُّهُ بعناد كلما حاول التملّصَ من قدميْها الصغيرتيْن. لعلها صادفتْهُ بجانب سور قُمامَة الحيّ، إذْن اعتادتْ بعض النساء لا تزالُ صالحة للاستعْمال.

وقفتْ تتحدّثُ مع الطفل، وكأنها تُلَقّنُهُ آليات الحِرْفة؛ تارة؛ يهزُّ الطفل البريء رأسه الصغير الخالي إلا مِنْ شعيْرات خشْنات مُبعثرات مُدوّرات، ويبدِه قطعة خبْز كبيرة؛ يسيل مرقُها على مِرْفقيْه كلما وضعها بيْن أسْنانه النّاصِعة البياض.

تتأبّط أيمن وشبْك أصابع يديْه ووضعهما وراء رأسه وغاب في ملاحقة المنْظر. عندما أنهى الطفل خبزه؛ ناولتْه الفتاة وعاء بلاستيكياً أصفر، أصغر من وعائها البنفسجي. ثمّ أشارتْ بيدها، تدُلُّه على الطريق الذي يجب أن يتواجد فيه طوال اليوم. هرول الطفل ضاحكاً، مسروراً كأنه تسَلّمَ القيادة! وقفتْ ندى الصباح تُعَدّل من شأن خمارها الذي كاد يسقط من على رأسها. تُثبّتُهُ بإصرار رغم أنه أصبح شبْهَ خِمار. بعيْنيْن حادّتيْن؛ التقتْ يميناً وشمالاً، أخرجتْ قارورة ماء صغيرة، أدْنتْها منْ فيها، وبدأتْ تشرب والقطرات تسيل على صدرها وتُبَلّل فستانها، تُحاول أنْ تمسح بيدها الأخرى ما تقاطر. تغلق القارورة بإحْكام، ثمّ تبدأ نشاطها من جديد. الوعاء البنفسجي في وجه المارّة. منهم مَنْ يتفضّل بما تيسّر، يضعه في الوعاء، منهم مَن يتجاهل الفتاة ووعاءها، ومنهم مَنْ يذهب ثمّ يتدارك؛ كأنّه غفل عن شيء؛ فيلتفتُ ويعودُ بعد بضْع خطوات؛ يضعُ ما في يمينه؛ وينْصرفُ وقد ثلاثت بسمة الفتاة شكراً وامتناناً لهذا الكريم النبيل.

ثالث الشارع الطويل

وهو يتابع حركات ندى الصباح يُفاجئهُ صُراخ امرأة، يتصاعد من الجهة الأخرى المقابلة للصيدلية الكبيرة. تتجمهر الجموع، يكثر اللغط، تتلاحق السيارات في طابور طويل، يتعقّدُ نظام المرور، تحْضرُ الشرْطة، تفُضّ الاكتظاظ. يظهر رجُلٌ غاضب؛ يُلَوّحُ بـ «كارط» الترخيص في الهواء؛ هيجانُهُ وما يتلفظ به منْ وعيد وتهديد وكلمات نابية؛ كل ذلك؛ يُثبتُ أنه من المُدّمنيْن. تناهى إلى مسمع أيمن من الشرفة؛ أنّه ضرب البائعة في الصيدلية، لأنها لم تُعْطِهِ ما يطلب، رغم امتلاكه الوصفة الطبية و«كارط» الترخيص. أفهَمَتْهُ أن هذا المطلوب قد نفد. تعنّتَ. اقتسمتْ له الأيمان. لسوء حظها؛ كانتْ وحدها في المحلّ. جرّها، رفسها، واقتحم المكان كالثور الهائج، يبحثُ بنفسه بين صفوف الأدوية.

جرت المسكينة نحو الشارع وأنفها ينزف، تصرخ وتستنجد.. رُميَ الرجل في سيارة الشرطة المصفّحة، وهو يغلي غليان الماء في القدر. شيئاً فشيئاً؛ بدأ الانفراج يتحقق في الشارع.

يتذكّر أيمن أن مثل هذه الحادثة؛ قد سبق وراها منذ شهور. وقعتْ ليلاً، ولحُسْن الحظ؛ كان البائعُ المناوبُ رَجُلاً؛ تسلّط عليْه اثنان مُمنْ فقدوا السيطرة على النّفس، ومع ذلك استطاع أن يُخرجَهما من المحلّ بأقلّ الأضرار، وتحت أنظار عُشّاق السهر على كراسي الشارع الطويل الذين سارعوا إلى مُساعدته..

تفقّد أيمن ندى الصباح. يمسح المكان بعيْنيْه. أين هي؟ لعلها خافتْ؟ لعلها غيّرت المكان؟ أين هي؟؟ تساءل: «ولماذا أبْحثُ عنْها». حاول أن يُوهِمَ نفسَهُ بأنّهُ غيْر مُهْتمّ؛ لحظات وعاد يبحث. انتابه القلق، غمره القنوط، ضاقتْ به الشرْفة. يريد أن يُطلّ بكامل جسمه على أبْعد مكان في الشارع. ينْظر إلى رجلَيْه المُتصلّبتيْن أشْعل الكرسي المُتحرّك، يشعر بحُمّى تأكل رأسه، تشنّجُ عيْناه، يضع يديْه على حافة الكرسيّ، يقطع الأنفاس، يعضّ على شفتيْه، يُغمض عيْنيْه، يضغطُ بكل قوة على حافة الكرسي، يترنّح وكأنه يستعد لِلَحْظة.. ثمّ يئنّ أنيناً خافتاً مُتلاحقاً، ويقف على قدميْه؛ يتصبّبُ عرَقُه، يحمرّ وجهه، تنتفخ أوداجه، يتسمّر في وَقْفته. يراها من بعيد؛ والوعاءُ بيْن يديْها، تمْشي بخطواتها الواثقة. يشْعُرُ بالانْشراح. تمنى لوْ ترفع رأسها قليلاً لتراه. ليلوّحَ بإحدى يديْه نحْوَها..

* سيدي بلعباس/ الجزائر

مونشيات ــ «امرأة على الكنبة» (أكريليك على قماش، 2018)

قصائد

ربما النعاس جميل

ملاك مكي *

تؤلمني يداي
أشعر بوجع حقيقي في يدي
أحاول أن أعرف السبب،
إذ إنني لم أبذل مجهوداً كبيراً ولا أشعر بالتعب
غير أن صوتاً دافئاً يمرّ بي في هذه الأيام
استرجعه بين الحين والآخر
من دون أن أتمكّن من التقاطه
فتؤلمني يداي.

■■■

تكذب الأمهات على أطفالهن
ولكن لا أحد يقول إن الأمهات يكذبن
وإلا كيف سينام الأطفال ويحلمون
ويصدقون أنهم سوف يكبرون

■■■

أشعر بنعاس خفيف منذ فترة
لست متيقظة
من قال إن الحياة يقظة
ربما النعاس جميل

■■■

لا يكفي ربيع واحد
لكي تراقب تفتح الزهر
نحتاج إلى خريفين أو أكثر

■■■

لا تعرف كيف هبط عندها
ربما لمحها وهو يحلّق في السماء
أو ربما سمع صوتها
أو ربما همس له نجمها وقال له
لتهبط عندها

■■■

لم أعد أشتاق إليهم
وكأنهم أصبحوا بعيدين
وكان الطعام أصبح بلا مذاق

■■■

وهي تنتظره
تفرك الوقت بيديها
إذ إنني لم أبذل مجهوداً كبيراً ولا أشعر بالتعب
غير أن صوتاً دافئاً يمرّ بي في هذه الأيام
استرجعه بين الحين والآخر
من دون أن أتمكّن من التقاطه
فتؤلمني يداي.

■■■

تكذب الأمهات على أطفالهن
ولكن لا أحد يقول إن الأمهات يكذبن
وإلا كيف سينام الأطفال ويحلمون
ويصدقون أنهم سوف يكبرون

■■■

أشعر بنعاس خفيف منذ فترة
لست متيقظة
من قال إن الحياة يقظة
ربما النعاس جميل

■■■

تبدأ حياتنا، ربما، بـ «لماذا تلمع النجوم في السماء»
وتنتهي، ربما، بأمنية أخيرة: «لو أمسكنا بنجمة»

■■■

«الطريق إلى البيت أجمل من البيت نفسه»
فالطريق خيال
وهي في طريقها إليه
أو ربما همس له نجمها وقال له
لتهبط عندها

■■■

لم أعد أشتاق إليهم

* لبنان

قانون

جوزيف بجليس: بيئات الطب الشرعي للعنف

لم يسبق لي الاطلاع من قبل على كتابات عن موضوع كتاب «السياسات الحيوية لما هو أبعد من الإنساني: بيئات الطب الشرعي للعنف» (منشورات جامعة ديوك ـ 2020) وهو العنف الذي يمارسه البشر على كائنات حية أخرى. ويسرني بالطبع الاطلاع على أي تصويب من القراء من ذوي الاختصاص في هذا الخصوص.

يحوي هذا العمل الريادي مجموعة من المصطلحات المستحدثة وجب الانتباه إليها أولها «السياسة الحيوية» الذي تعامل معه ميشال فوكو في سلسلة محاضرات له، تشير «إلى ممارسات شبكة السلطة التي تدير تخصصات الجسد والسكان وصلاحياتها. إنها منطقة لقاء بين السلطة ومجالات الحياة، يتحقق على نحو كامل في عصر الانتشار الكامل والشامل للرأسمالية؛ هي السياسة التي تمارس سلطتها على كائنات بيولوجية تعيش في وسط بيئي معين»، ومنه سننطلق نحو عرض محتوى المؤلف، موظفين كلمات الكاتب جوزيف بجليس بروفسور الدراسات الثقافية في «جامعة ماكواري».

يبدأ الكاتب بعرض رؤيته للمسألة انطلاقاً من شهادة مواطن فلسطيني من غزة اسمه عاطف أبو سيف كان يتحدث عن مدى الدمار الذي ألحقه العدو الصهيوني الاستعماري-الاستيطاني في حربه المستمرة على القطاع المحاصر مصرياً وصهيونياً. قال أبو سيف ضمن أمور أخرى، إن نصف دزينة من جثث الحمير التي قتلها العدوان الإسرائيلي باسلحة أميركية ملقاة على الطريق أمام المدرسة. بطونها مفقأة وامعاؤها تتدلى منها. الحمار السابع كان لا يزال على قيد الحياة مع أنّ إصابته خطيرة. وبينما كان يمشي بعيداً من موقع القتل، واجه شجرة كانت أيضاً ضحية للضربة: شجرة تين أمام المنازل مطلية بلون الغبار. الفروع ملقاة على الأرض والثمار لا تزال عليها. وعند دخوله إلى أحد المنازل التي تعرضت للقصف في حيه، واجهه صبي كان لا يزال يعاني الهستيريا بعدما رأى لحم أبيه وعمه، مختلطاً مثل اللحوم في متجر قصاب.

يقول الكاتب إن شهادة عاطف هذه تلخص اهتمامات هذا المؤلف وتعمل على إثارة عدد من الأسئلة، يحدد «إحداثيات الاستفهام» لهذا المشروع: هل من الممكن البدء في توسيع مفاهيم السياسة الحيوية والطب الشرعي إلى ما وراء أطرها البشرية لتشمل المزيد من الكيانات، ضحايا العنف العسكري، مثل الحمير منزوعة الأحشاء وشجرة التين باطرافها المقطوعة؟ ماذا لو حاول الاستقالة من الفهم التقليدي لـ«علم البيئة الشرعي»، الذي يركز حالياً حصرياً على تحديد أسباب الوفيات البشرية فقط، ليعمل على جعل وفاة ضحايا من غير البشر قضية قابلة للتقاضي؟ ما أشكال القوانين التي ستبدأ في تحقيق العدالة للكيانات غير المتجانسة العالقة في المصفوفة العنيفة لإيكولوجيا الطب الشرعي للعنف والاحتلال العسكريين - كمواقع محورية لهذا النص؟

تحليل التحويل القانوني لمعتقلي غوانتنامو إلى «غير أشخاص»

يبدأ الفصل الأول (الطرائق السياسية الحيوية لأكثر من الإنسان وإيكولوجيات الطب الشرعي) بمشهد دمار في أحد أحياء غزة بعد ضربة قاتلة نفذها العدو الصهيوني أثناء ما يسمى «عملية الجرف الصامد». يحدد مشهد التدمير هذا الإحداثيات المفاهيمية التي تشكل تحليل الكاتب لتأثير العنف العسكري في كل من الكيانات البشرية وغيرها وبيئات الطب الشرعي التي يقيت في أعقاب هذا العنف، ويركز على الأبعاد التحليلية لطريقة معينة من السياسة الحيوية والسياسة الحيوانية، وبطورها بالتفصيل. ذلك أنه يناقش حياة الإنسان والحيوان في غزة، وهما محاصران فعلياً في سجن الهواء الطلق، أي «القفص» الذي هو قطاع غزة الذي يتم تصويره على أنه «حديقة حيوانات» و«مختبر تجريبي».

الفصل الثاني (الطرائق السياسية الحيوية لما هو أبعد من إنساني وإيكولوجيات الطب الشرعي) يبدأ بمناقشة تفصيلية لكيفية ظهور ممارسات المستوطنين السياسية الحيوية للتدمير البيئي باعتبارها مرتبطة ارتباطاً متقاطعاً مع الطموحات الاستعمارية-الاستيطانية مثل مصادرة الأراضي والتوسع. ثم يوسع هذا الفصل الفتحة السياسية الحيوية ويسلط الضوء على الأساليب السياسية الحيوية الأخرى التي يتم نشرها لتحقيق هذه الغاية نفسها، فيعرض هذا الفصل بالتفصيل كيف دمرت «عملية الجرف الصامد» البساتين وطبقات المياه الجوفية والحيوانات ومساحات واسعة من الحقول الزراعية.

عمل الكاتب في الفصل الثالث (الإفراط في الحيوانات والتعذيب غير الحيواني) على نقل السؤال المتعلق بالسياسة الحيوانية بشأن «الحيوان» إلى سجن خليج غوانتنامو العسكري لتسليط الضوء على آثاره المميتة في هذا الغلواء، ويبدأ بتحليل التحويل القانوني لمعتقلي غوانتنامو إلى «غير أشخاص» nonpersons وما تلى ذلك من وفاة أحد المعتقلين واسمه عدنان لطيف. يناقش الكاتب محاولة لطيف النجاة من نظام السجن العسكري للتعذيب وسوء المعاملة من خلال العلاقات بين أنواع الكائنات الحية التي كانت في الواقع محظورة بموجب القانون.

السؤال المتعلق بالسياسة الحيوانية حول من يمكن أن يتعرض للتعذيب أو القتل مع الإفلات من العقاب هو موضوع الفصل الرابع «تقطيع الجسد وتشتيته بوساطة المسيرات». يناقش الأخير حملات المسيرات التي تشنها الولايات المتحدة في أفغانستان وباكستان والصومال واليمن وقتل المدنيين وبيئات الكيانات غير البشرية من خلال تقنيات الحرب شبه الآلية التي تولد «الموت بطريق البيانات الوصفية». تحليل الكاتب يتم في سياق استخدام الجيش الأميركي للبيانات الوصفية لإجراء عمليات قتل بالمسيرات واعتماده على الصيغ الرياضية المتقدمة لتتبع أهدافها في قوائم القتل وإنشاء حساب احتمالية «النية العدائية».

يحوي المؤلف الكثير مما لا يمكن اختصاره في عرض محدود الحجم كهذا، ولذلك ننهيه باقتباس منه يقول: «تحدياً لعقيدة الاستثناء البشري، تستمر شخصية أكثر من إنساني، كلحم للعالم، في استجواب الهيمنة الأوروبية البشرية، ونقاط انعكاسها النرجسية، والاستثمار العنيف بالملكية، ومنطق الإبادة البيئية المصاحب للمناعة الذاتية. فالمؤلف تعبير عن الحاجة الملحة لصحوة أخلاقية حاسمة لتحقيق العدالة البيئية».

* Biopolitics of the More-Than-Human: Forensic Ecologies of Violence- Duke University Press 2020

كرة قدم

نظرة إلى الألتراس... أبعد من الرياضة

إعداد **زياد منى**

لا شك في أنّ ما يميز لعبة كرة القدم عن غيرها من الأنشطة الرياضية أنها الأكثر شعبية عالمياً. يقدّر عدد متابعي المباريات بالمليارين، ويصل عددهم إلى أكثر من مليار عندما يتعلق الأمر بمباريات دولية. ولا شك كذلك في أن مشاهدي هذه المباريات يلاحظون سحب الدخان في بعض أجزاء مدارج الملاعب الناتجة عن إشعال الألعاب النارية وكذلك الهتافات المتواصلة لهذا الفريق أو ذاك.

في كتابه «ڤن ثري ڤن تو: بين الألتراس، رحلة مع أكثر المشجعين تطرفاً» (ينغوين 2020)، يقول الكاتب جيمس مونتاغ وهو صحافي إنكليزي حائز العديد من الجوائز التكريمية: ماذا ترى عندما تشاهد مباراة كرة قدم؟ هل ترى دراما جماعية تؤدّى أمامك؟ هل ترى لاعبين يُظهرون مهارات فردية؟ هل ترى لعبة شطرنج من الأرقام والتكتيكات والأنماط؟ تنقّل الكاتب في 25 دولة بحثاً عن إجابات ووصل إلى الاستنتاجات الآتية: لا إجابة صحيحة أو خاطئة، لكن هناك ملايين الأشخاص حول العالم يرون اللعبة بطريقة مختلفة تماماً. ففي المدرجات وخلف شباك المرامي، هناك طريقة الألتراس الذين يمارسون مفاهيم مختلفة لكرة القدم، وهي ثقافة فرعية حددت إلى حدّ كبير كيف بدت اللعبة هذه عندهم وشعروا بها منذ منتصف القرن العشرين. مع ذلك، فنحن لا نعرف شيئاً تقريباً عن هذه المجموعات من مشجعي كرة القدم الذين يملأون الملاعب بالدخان. إنها ثقافة طورت قواعدها ومعاييرها. مجموعات عاشت خارج القانون أو على الأقل في احتكاك دائم معه، وتتواصل من خلال العروض العامة: لافتات ضخمة ورسائل مصممة بالوان زاهية وتصريحات سياسية ودخان وإشادة وشجب ومشاعل وعنف ونصب تذكارية. إنها ثقافة مناهضة للاستبداد ولديها عدم ثقة فادح في الشرطة ووسائل الإعلام. كما إنها طورت شبكة دولية من الصداقات والأعداء، وقواعد الشرف الخاصة بها وشعوراً عميقاً بالتضامن.

يروي المؤلف قصة كيف أصبح الألتراس أحد أكثر ثقافات الشباب اكتظاظاً بالأفراد. ويشرح كيف أصبحت هذه الثقافة الفرعية معنية بأكثر من مجرد لعبة كرة قدم. وقد تبين للكاتب أن هذه الثقافة سياسية حتى العظم رغم ادعاء الألتراس بالعكس. ويضيف أنّ بعض الحكومات، وحتى الجريمة المنظمة، تمكنت من احتواء الألتراس في بعض البلدان، علماً بأن بعضهم من الفاشيين الجدد، لكن ثمة يسار متطرف أيضاً.

يقول الكاتب إنه اختار 1312 عنواناً للمؤلف بعد متابعة ثقافة مشجعي كرة القدم في أنحاء العالم على مدار العقد الماضي، من الدار البيضاء إلى سرايفو وكراكوف، ورؤية هذا الرقم منقوشاً على جدران ملاعب كرة القدم. اكتشف أنه رمز رقمي أبجدي يتوافق مع ACAB، اختصاراً لشتيمة All Cops Are Bastards أو «أفراد الشرطة جميعاً أولاد بغي».

وبينما يتم توثيق تفاصيل كل لحظة على أرض الملعب على نحو مهووس، وكذلك حياة اللاعبين الذين يفترض أن يكونوا النجوم البارزين في هذا المنتج الترفيهي العالمي، وكذلك تصرفات المُلّاك والمدربين والإداريين التي توضع تحت المجهر، لكن المشجعين؟ والألتراس؟ يظلون إلى حد كبير لغزاً حيث يتم انتقادهم على أنهم الآخرون المخيفون من ناحية، بينما يعملون هم على إخفاء هويتهم التي حصلوا عليها بشق الأنفس، في رياضة حيث نعرف كل شيء عن الجميع، لكنّ الآخرين بقوا لغزاً مخيفاً، لكن على مرأى من الجميع!

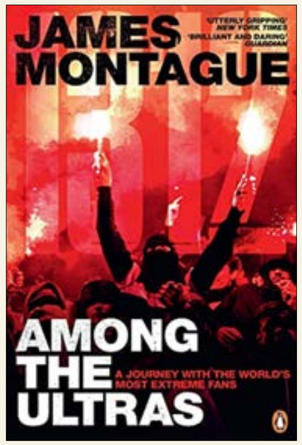

واجهوا الأنظمة الاستبدادية ولعبوا دوراً في الاحتجاجات في مصر

يكتب جيمس مونتاغ أن كل متطرف له نفس «قصة الأصول» والذكريات ذاتها. لقد نظروا إلى أرضية الملعب، لكنهم انجذبوا إلى ضجيج الجماهير خلف شبكات المرمى. لم يرغبوا فقط في مشاهدة مباراة كرة قدم، بل أن يشعروا بها أيضاً».

الكاتب لا يبتعد أبداً عن أحلك جوانب هذه الثقافة الفرعية فيقول: في بوكا جونيورز في الأرجنتين، يُزعم أن طاقم Doce يكسب 3 ملايين دولار شهرياً، لكن المخاطر كبيرة لدرجة أن العديد من الألتراس قُتلوا على مدى عقود.

يأتي جزء كبير من هذه الأموال ليس فقط من تجارة التذاكر والمخدرات، ولكن من التعاقد معهم كجنود في مختلف الميادين للقيام بالأعمال القذرة للسياسيين والنقابات وعصابات ترويج المخدرات. وأحد المتطرفين في البرازيل يقول: السياسيون والقضاة وكبار ضباط الشرطة يرفضونني من ناحية، لكن من الناحية الأخرى يريدون التحدث إليّ، والاقتراب منك، وترتيب حملة دعائية، وكانت نتائجه أكثر اتساعاً بكثير من تجنيد الجنود.

الفصل الثالث (التفاوض على تسامح ستالين: المؤسسات الإسلامية في زمن الحرب) يوضح أن القادة المسلمين السوفييت اكتشفوا حرياتهم للتفاوض مع الدولة السوفييتية للحصول على مجموعة من الامتيازات نيابة عن مجتمعاتهم، بدءاً من إعادة فتح المساجد المغلقة منذ فترة طويلة إلى السماح للاحتفال بالأعياد الدينية الرئيسة بشكل أكثر انفتاحاً. من وجهة نظر الدولة السوفييتية، كانت هناك فوائد يمكن جنيها من هذا النوع من التسامح؛ فقد أصبحت المساجد التي أعيد افتتاحها حديثاً مراكز رئيسة لجمع التبرعات للجهود الحربية، ونشرت النخب المسلمة رسائل وطنية في سياقها، بما في ذلك مديح ستالين وشكره.

الفصل الرابع (صلاة الجيش الأحمر وأشعار الجبهة الداخلية: لمحات من حياة المسلمين السوفييت في زمن الحرب) يغوص في التدين بين المسلمين خلال الحرب، اعتماداً على مصادر مثل الشعر في زمن الحرب، وذكريات المحاربين القدامى، وتقارير شهود العيان، والرسائل السرية للمسؤولين السوفييت، والرسائل من الجبهة الداخلية وإليها.

الفصل الخامس (حيرة البيروقراطيات: مراقبة المسلمين في قازاخستان ما بعد الحرب - استنتاج) يظهر أن المسؤولين أنفسهم المكلفين بمراقبة الحياة الدينية كانوا في بعض الأحيان في حيرة من أمر ما كان يفترض أن تتضمنه «سيطرة» الدولة. فما شهده الاتحاد السوفييتي في تلك الفترة كان إحياء الدين لا المؤسسات الدينية.

تجادل خاتمة المؤلف بأنّ نمو هذه «المساحات الرمادية» ربما كان له تأثير أكبر في الثورة الدينية في حقبة الحرب من تأثير موجة الدعاية الدينية التي تديرها الدولة أو الجهود الرؤية للنخب الدينية المعتمدة من الدولة.

* 1312: Among the Ultras: A Journey With the World's Most Extreme Fans - Penguin 2020

بحث

ما أرادته إمبراطورية اليابان من مسلمي الصين

يتناول «مسلمو الصين وإمبراطورية اليابان: مركزة الإسلام في الحرب العالمية الثانية» (منشورات جامعة نورث كارولاينا ـ 2020) للكاتبة الأميركية كيلي هامند البرفسورة المساعدة في مادة التاريخ في «جامعة اركنسس»، استغلال الاستعمار للإسلام وتحديداً كيفية توظيفه في تنافس اليابان ومن بعدها القوات الصينية في المستعمرة لكسب ود مسلمي البلاد، وهو تتويج لسنوات من البحث الأرشيفي ويستخدم مصادر بخمس لغات من سبع دول لنسج قصة موحدة حول تورط الإمبراطورية اليابانية مع مسلمين من الصين خلال الحرب العالمية الثانية، دوماً بكلمات الكاتبة. دوافع الإمبراطورية اليابانية (بمعنى الاستعمار الياباني – ز م) للاهتمام بمسلمي الصين الأم تتلخص في أن تؤدي جهودها إلى خلق كادر من المسلمين الموالين لها، يدعمون أجندتها المعادية للغرب والشيوعية. فهدف فكرة اليابان لنشر المسلمين الصينيين كنوع من الحرس المتقدم، هو تطوير العلاقات السياسية والتجارية مع العالم الإسلامي الأوسع، وخاصة مع الشرق الأوسط، حيث كان وجود اليابان حديثاً نسبياً ولا يزال ضعيفاً. وقد مارس التعليم دوراً كبيراً في جهود اليابان لكسب دعم الصينيين المسلمين ودعموا الإصلاحيين المسلمين في الصين وساعدوا في إنشاء المدارس وقدّموا منحاً دراسية للرجال والنساء المسلمين للدراسة في طوكيو.

تتابع الكاتبة تطورات نشاط اليابان لاستقطاب مسلمي الصين، عبر كل أرشيفات اليابان والصين ومراجع أخرى ضمن خمسة فصول، أولها، الذي يلي المقدمة، «من ميجي عبر مانشوكو: اهتمام اليابان المتنامي بالمسلمين الصينيين». يوضح تم تأطيره في إطار الاهتمام الفكري الأوسع بكل من الإسلام والدين الذي بدأ في أواخر فترة ميجي (1868-1912). في الفصل الثاني (الجلوس على سياج من الخيزران: مسلمو الصين بين القوميين الصينيين والإمبراطورية اليابانية)، نرى أن المسلمين الصينيين الذين كانوا يعيشون تحت الاحتلال أصبحوا نقطة الانطلاق لفحص مدى استجابتهم التي يدعمها القوميون للاحتلال الياباني. فمراجعة الدوريات الإسلامية المنتشرة على نطاق واسع والتي يرعاها القوميون والتقارير الحكومية المتداولة داخلياً والتي غطت بعثات استطلاعية لزيارة المجتمعات الإسلامية الصينية التي تعيش تحت الاحتلال، يسلط الفصل الضوء على الشعور بالإلحاح الذي يستحقه هذا الموقف من الحكومة القومية، كما يستعرض ردود فعل المجتمعات المسلمة الصينية على تغييرات المناهج المقترحة للمدارس الإسلامية من كل من القوميين والإمبراطورية اليابانية. تم تنفيذ هذه الإصلاحات المتنازع عليها باللغتين الصينية واليابانية في المدارس الإسلامية كوسيلة لتلقين الشباب المسلم، ونرى أنهم واجهوا مقاومة قوية من المجتمعات الإسلامية المحلية، التي رأت أن إصلاحات اللغة تشكل تهديداً لتعلم اللغة العربية والسلطة المحلية للمسجد.

الفصل الثالث (المسلمون الصينيون خارج الصين المحتلة) يتتبع عدداً من المسلمين الصينيين الذين تركوا المناطق الواقعة تحت الاحتلال للزيارة أو الدراسة في طوكيو، والسفر في أنحاء شرقي آسيا، وأداء فريضة الحج بمساعدة مالية من الإمبراطورية اليابانية.

يفحص الفصل الرابع (توظيف الإسلام: المسلمون الصينيون وإمبراطورية اليابان الطموحة) خطط الرابطة الإسلامية اليابانية الكبرى التي تتخذ من طوكيو مقراً لها لنشر المسلمين الصينيين لبيع الشاي الياباني والسلع المصنعة في أسواق جديدة يغلب عليها المسلمون في أنحاء جنوبي آسيا وآسيا الوسطى وشمالي إفريقيا والشرق الأوسط جميعاً. كانت هذه الخطط محورية في الجهود المبذولة لإنشاء أسواق جديدة في الأماكن ذات الغالبية المسلمة. يوضح الفصل الخامس (التشابكات الفاشية: الساحات الإسلامية والمصالح المتداخلة) أن الإمبراطورية اليابانية كانت واعية وانتقادية للطريقة التي تعامل بها الفاشيون الإيطاليون والنازيون مع المسلمين تحت حكمهم من خلال القراءة الدقيقة لوثيقة يابانية سرية تسمى «السياسة الإسلامية الإيطالية».

تتعمق الخاتمة في ميراث الفاشية العالمية وتقدّم رؤى ثاقبة للروابط بين السياسة الإسلامية اليابانية في زمن الحرب، وسياسات الأقليات العرقية في مطلع نشوء جمهورية الصين الشعبية، وعلاقات كل من القوميين الصينيين والشيوعيين مع دول ما بعد الاستعمار المستقلة حديثاً والتي لها قدر كبير من الأهمية مثل الهند وباكستان وإندونيسيا وماليزيا ومصر، مع التركيز تركيزاً خاصاً على أصداء الخطاب المناهض للسوفييت والمناهض للإمبريالية في الدعاية القومية لما بعد الاستقلال التي أنتجتها الحكومات الشيوعية والمناهضة للشيوعية في جميع أنحاء آسيا والشرق الأوسط في البلدان الإسلامية. يجادل بأن إرث الفاشية اليابانية استمر في الحرب الباردة.

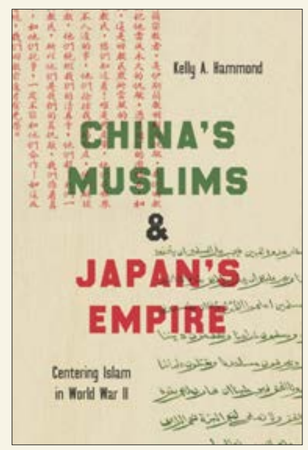

خلق كادر من المسلمين الموالين لها، يدعمون أجندتها المعادية للغرب

* China›s Muslims and Japan›s Empire: Centering Islam in World War II - The University of North Carolina Press 2020

تاريخ

يوم استنجد ستالين بمسلمي الاتحاد السوفييتي

من المعروف أن الثورة البلشفية شنّت حروباً عنيفة على مختلف مظاهر الدين والتدين، لكن عدوان ألمانيا النازية على الاتحاد السوفييتي عام 1941 أجبر ستالين على إعادة النظر في سياساته تلك، إذ احتاج إلى حشد دعم شعبي عام ضد النازيين. وقد نجحت الهوية الدينية والتقاني للعديد من المواطنين من القمع الديني الوحشي في عشرينيات القرن الماضي وثلاثينياته في النجاة. حيوية الدين بالتحديد هي التي كان يأمل ستالين في توظيفها عندما طلب مساعدة القادة الدينيين المسيحيين والمسلمين والبوذيين واليهود وغيرهم في دعوة المواطنين إلى التطوع في الجيش السوفييتي. وقد أنشأت الحكومة نظاماً ذا شقين للدعاية للمواطنين المسلمين في البلاد. فمن ناحية، قام الحزب الشيوعي السوفياتي بإغراق المسلمين بأدب علماني ظاهرياً يشيد بـ«صداقة» الشعوب السوفييتية وقضيتهم المشتركة في الدفاع عن الاشتراكية، ومن ناحية أخرى تم تفويض نخب مسلمة مختارة بمهمة إصدار دعوات حشد إسلامية موازية. في كتاب «اللهم انصر الاتحاد السوفييتي: المسلمون السوفييت في الحرب العالمية الثانية» لجيف إيدن (منشورات جامعة أوكسفورد ـ 2021)، نقرأ كيف أوضحت هذه النخب المسلمة مواقفها في الخطب والفتاوى المتداولة على نطاق واسع ودعمت المجهود الحربي بلغة النضالات الإسلامية الكلاسيكية: فقد تم نشر اقتباسات من القرآن ونشر عينات مناسبة ومألوفة من الأحاديث إضافة إلى إعلان هتلر عدواً لـ«الإسلام» على وجه الخصوص، يسعى ليس فقط لتدمير مسلمي العالم ولكن أيضاً لتدمير عاداتهم ومقدساتهم. كما تم إعلان الجنود الذين قضوا شهداءً بصفتهم مجاهدين.

يقدم الفصل الأول «الوضع: من سنوات القمع إلى «الصفقة الجديدة لستالين» لمحة عامة عن التطورات الرئيسة في الحياة الدينية السوفييتية والسياسة من خلال موجات متتالية من القمع في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، ويختم بإلقاء نظرة فاحصة على «الصفقة الجديدة» التي أبرمها ستالين مع القادة الدينيين في زمن الحرب.

يركز الفصل الثاني (الصلاة مع ستالين: بروباغاندا السوفيتية في الحرب العالمية الثانية) على صعود النخب المسلمة المعترف بها رسمياً، ويكشف عن كيفية استدعاء القادة المسلمين السوفييت لحشد مجتمعاتهم في المجهود الحربي، وتصوّر في العديد من الخطب هؤلاء القادة النضال ضد النازيين بمصطلحات إسلامية واضحة؛ لقد عبروا عن القيم والمصالح المشتركة مع الدولة السوفييتية؛ واستخدموا برنامجهم العام الجديد لتحديد الهوية الإسلامية المجتمعية باستخدام نوع اللغة ذاتها التي كانت محظورة في السابق في المجال العام السوفييتي. كان الجهد المبذول لحشد المسلمين للحرب أكثر بكثير من مجرد

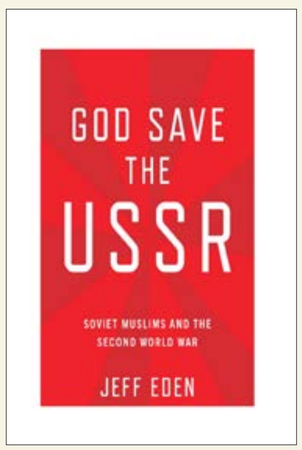

إعلان هتلر عدواً للإسلام يسعى لتدمير مسلمي العالم وعاداتهم ومقدساتهم

* God Save the USSR: Soviet Muslims and the Second World War - Oxford University Press 2021

أوراق

لعل الاسم القديم لمدينة «العلا» في شمال الجزيرة العربية، هو «دادان» أو «ديدان»

المحبة أم الكتابة؟

زكريا محمد *

جاء في القرآن: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا» (سورة مريم 96). وقد فُهمت كلمة «ودّ» في الآية على أنها تعني عموماً الحب والودّ. فالذين أمنوا وصلح إيمانهم، سيحبّهم الله. لكن هذا الاستخلاص مشكوك فيه جداً، بل وغير محتمل في اعتقادي. فاستخدام فعل الجعل في جملة «سيجعل لهم الرحمن ودا» توحي بأمر مادي ملموس لا بأمر معنوي مثل الود والمحبة. ولو كان الأمر أمر ودّ وحبّ، لما كان هناك من حاجة لاستخدام هذا الفعل ولكان قيل مثلاً «سيودهم الله».

ويبدو لي أن أمر الودّ في الآية يتعلق بالكتابة والكتب لا بالود والمحبة. بذا فالآية تقول إن الله سيجعل للذين آمنوا كتاباً، أي عهداً. واستخدام الكتاب بمعنى العهد شائع جداً في العربية الكلاسيكية. يقال: «كتب لهم كتاباً، أي عهداً». وقد ورد مثل هذا في السيرة النبوية. فحين أسلم أكيدر، صاحب دومة الجندل: «كتب [الرسول] له ولأهل دومة كتاباً، وهو: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام، ولأهل دومة. إن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن، ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر النبات، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة لحقها، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ولكم به الصدق والوفاء، شهد الله ومن حضر من المسلمين» (ياقوت الحموي، معجم البلدان).

وكما نرى في الحديث، فالكتاب تعني: العهد والميثاق. وأنا أعتقد أن كلمة «ودًا» في الآية جاءت بهذا المعنى. أي أنها كتاب، وأن الكتاب يعني العهد والميثاق فيها. يؤيد هذا أن «المودّة» في سورة الممتحنة جاءت بمعنى الكتاب: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنت خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرّون إليهم بالمودة وأنا اعلم بما أخفيتم وأعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل» (سورة الممتحنة 1).

وقد أثارت كلمة المودة الجدال قديماً وحديثاً. ذلك أن «إلقاء» المودة تعبير فيه قدر من الغرابة. وهو ما يجعل احتمال أن تكون المودة بالمعنى الشائع صعب القبول. لذلك فقد كان هناك اقتراح يقول إن المودّة في الآية تعني الكتاب والرسالة: «ابن الأعرابي: المَوَدَّة الكتاب. قال الله تعالى: تُلْقُون إليهم بالمَوَدَّةِ أي بالكُتُب» (لسان العرب). وهذا أمر معقول جداً. فإلقاء المودة هو إرسال الرسائل. وبهذا يصبح استعمال فعل الإلقاء معقولاً ومقبولاً. ويعتقد على نطاق واسع أن الآية تشير إلى قصة حاطب بن بلتعة في السيرة النبوية. فقد كتب حاطب سراً كتاباً لبعض معارفه في مكة كي يضمن أن لا يؤذوا أهله المقيمين في مكة. وقد علم الرسول بأمر الكتاب، فأرسل من يحضره قبل وصوله إلى مكة:

«فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا، وعمر، والزبير، وطلحة، وعمارا، والمقداد بن الأسود، وأبا مرثد، وكانوا كلهم فرساناً، وقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فخذوه منها، وخلوا سبيلها، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها. فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها كتاب، فبحثوها، وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً، فهموا بالرجوع، فقال علي رضى الله عنه: والله ما كذبنا ولا كذبنا، وسل سيفه، وقال لها: أخرجي الكتاب وإلا والله لأجردنك، ولأضربن عنقك. فلما رأت الجد أخرجته من ذوائبها قد خبأته في شعرها، فخلوا سبيلها، ولم يتعرضوا لما معها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل إلى حاطب فأتاه، فقال له: هل تعرف الكتاب؟ قال: نعم، قال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله، ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت غريباً فيهم، وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يدا» (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب).

وقد نزلت الآية في حاطب هذا. وهي تشير إلى أن المودة تعني: الكتاب والرسالة. يؤيد هذا أن الآية تتحدث عن الإسرار بالمودة «تسرّون إليهم بالمودة». وهو ما يشير إلى رسالة سرية. وانطلاقاً من هذا كله، فمن الواضح أن جذر «ودد» يعطي معنى الكتابة إضافة إلى معانيه الأخرى.

وتتكرر في نقوش شمال الجزيرة العربية، وعلى الأخص النقوش التي تصنف بأنها ثمودية، كلمة «ودد» بشكل مكثف. حيث يقال: «ودد فلان» أو «وددت فلانة». وقد فهمت الكلمة عند جميع الباحثين بلا استثناء على أنها من المودة، أي من المحبة والود. وهناك من يحوّر المعنى ليصبح: تحيات. بذا فحين نقرأ: «ودد فلان»، فعلينا أن نفهم أننا مع تحيات وسلام. أما أنا فخالفت هذا الإجماع، وجادلت منذ زمن بعيد أن «ودد» في هذه النقوش تعني: كتب وحفر، لأن الكتابة كانت تتم بالحفر على الصخر. بذا يكون قد جرى فك تضعيف الفعل في هذه النقوش، فصرنا مع «ودد» بدل «ودّ».

وظني أن الفعل «ودد» بمعنى «كتب» أخذ من «الوَدّ» الذي هو الوتد: «ابن سيده وغيره: والوَدُّ الوَتِدُ بلغة تميم، فإذا زادوا الياء قالوا وتيدٌ؛ قال ابن سيده: زعم ابن دريد أنها لغة تميمية، قال: لا أدري هل أراد أنه لا يغيرها هذا التغيير إلا بنو تميم أم هي لغة لتميم غير مغيرة عن وتد. الجوهري: الوَدُّ، بالفتح، الوَتِدُ في لغة أهل نجد كأنهم سكّنوا التاء فأدغموها في الدال» (لسان العرب). وبما أن الكتابة نقشاً على الصخر كانت تجري بآلة حادة، فإنه يمكنني الافتراض بأن نقش الحروف كان يجري بالوتد- الود. فهو آلة متوفرة دائماً عند البداة الرحالة في حلهم وترحالهم، يربطون به دوابهم، ويشدون بها حبال خيامهم.

ولعل الاسم القديم لمدينة «العلا» في شمال الجزيرة العربية، وهو «دادان» أو «ديدان»، أن يكون على علاقة بما نحن فيه. واعتقادي أنه كان هناك إله قديم بهذا الاسم أخذت المدينة اسمها من اسمه. والاسم يرد في النقوش الدادنية- اللحيانية بصيغة «ددن». أما صيغة «دادان» مع حروف، فقد أخذت من النسخة الماسورية من التوراة. جاء في سفر العدد: «فِي الْوَعْرِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ، يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ». وأظن أن هذه الصيغة ليست سليمة، وأن الاسم الأصلي هو «دودان» وليس «دادان» أو «ديدان»، وأنه على علاقة باسم القبيلة العربية الشهيرة بني دودان، الذين اشتهروا باسم عبيد العصا». يقول الشاعر:

قولا لدودان عبيد العصا
ما غرّكم بالأسد الباسل

وبنو دودان هؤلاء فرع من بني أسد القبيلة الكبرى الشهيرة. واعتقادي أن جد القبيلة «دودان» إله في الأصل. وهذا ليس غريباً. فأغلب آباء القبائل العربية القديمة هم في الواقع آلهة. كما أن أبا «بني إسرائيل» هو الإله «إسرائيل» الذي ورد اسمه عند فيلو الجبيلي، وفي مسلة مرنفتاح المصرية في نهاية القرن القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وقل مثل هذا عن «بني يهودا». وهكذا يكون الود - الوتد قد أعطانا فعلاً آخر يعبر عن الكتابة نجد له صدى في القرآن ذاته.

إذن، فالاسم الأصح للعلا ولمملكة دادان هو «دودان» على اسم هذا الإله. ويبدو لي أن هذا الإله أخذ اسمه من الكتابة. بالتالي فاسمه يعني «الكتاب». وهذا يعني أنه شبيه بالإله «الكتبي» النبطي.

على أي حال، فقد كنت أوضحت في كتابي أن لقب «عبيد العصا» لبني دودان ليس لقب نبز في الأصل، بل لقب ديني، وأنه يشير إلى إلهم الذي يتمثل بعصاً. كما بينت أن العصا هنا تتماهى بالحية. بالتالي، فعبيد العصا هم عبيد الحية، أي عابدو الإله الذي يتمثل بحية. وهذا يذكر بعصا موسى التي هي عصا - حية في الوقت عينه. لذا قال الأفعى الجرهمي: «العصا من العُصيّة، ولا تلد الحيّة إلا حيّة». وليس مصادفة بالطبع أن تجتمع الحية والعصا هنا. فالحية دينياً هي العصا، والعصا هي الحية. أما الأفعى الجرهمي فهو الذي قسم إرث نزار بين أبنائه الأربعة: مضر وربيعة وإياد وأنمار. وقصته معروفة ومشوقة.

> عبيد العصا هم عبيد الحية، أي عابدو الإله الذي يتمثل بحية

* شاعر فلسطيني